البيان

ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا

مجلة شهرية ، ادبية ، فكرية تصدرها رابطة الادباء الكويتيين

العدد السادس
سبتمبر ١٩٦٦

الثمن
١٠ فلس

البيان

مجلة شهرية
أدبية، فكرية

تصدرها
رابطة الأدباء الكويتيين

• • •

هيئة التحرير

عبدالله الحاتم
خالد سعود الزيد
عبدالله العتيبي
هداية سلطان السالم

سكرتير التحرير

سليمان الشطي

مدير الادارة

عبدالله الدويش

• • •

المراسلات ص.ب ٥٤٧٥ الكويت

الاعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

تلفون ٢٢٢٣٦

في هذا العدد

العدد السادس
سبتمبر ١٩٦٦

نماذج من الأداء المغلوط

بقلم : محي الدين محمد ـ القاهرة

سوف لا نتكلم عن عدم الصدق الفني باعتباره احد نماذج الاداء المغلوط ، فالمفروغ منه بداهة ان نماذج عدم الصدق الفني تشجب نفسها بنفسها ، ولا تقوى على الصمود امام النقد ، وما يعنينا في هذا المجال هو فرع مرفوض مما يسمى بالمغالطة الوجدانية في الشعر ، وهو احد الادواء القاتلة التي تركبها العمليات الشكلية في باطن الشاعر ، بدءا بالقافية والايقاع واللحنية ، وانتهاء بتحكم الصور والتداعيات اللفظية والمعنوية .. وهو التحكم الذي يخل دائما بالقيم والمضامين في الشعر العربي القديم والحديث معا .

فالشكل في الشعر كان دوما ، كما هو في الفنون البلاستيكية ، عنصرا جماليا يقف على قدم المساواة مع القيم والمضامين ، بحيث لا يصح ابدا طرح احدهما للتحليل بدون اضافة الاخر . مع ذلك ، قد يحدث هذا الفصل بشكل شعوري ولا شعوري في باطن الشاعر ، اذا كان الموضوع المطروح غير غنائي ، اي يحمل من الشحنة اللحنية اقل بكثير من القدر المعتاد لوضعه في مصاف النماذج المتلائمة .

ولا شك ان بعضا من هذه النماذج المنفصلة في باطن الشاعر تتسرب الى الخارج على ما هي عليه ، وتصل الى القارىء الذي يحس للوهلة الاولى ان ثمة ما يعطل احساسه ووجدانه عن المضي في التجربة حتى نهاياتها ، اذ ان من المظاهر الاساسية لهذه النماذج المنفصلة ، فرض لون من غياب الصلة القائم بين الخيال او بين بعض الاستعارات والتشبيهات الجمالية ، وبين الموضوع ، مما يهدد بغربة التجربة كلية .

فالخيال الذي هو جزء من العمل الفني ، من الصعب التخلي عنه بدون ان يصبح العمل تقريرا ، وضعيا عن القائم والموجود والماثل ، لا ينى يضع العراقيل امام الشاعر ، لانه في طبيعته تحطيم للصلة المنطقية او الاجتماعية بين الفرد والاخرين . فالعلاقات بين الذات والكون لا تتسم في الخيال بنفس ما تتسم به من طبيعية في الحياة العادية ، مهما كان الخيال صورة من صورها ، اذ انه على الاقل ، يقيم صلاته على اساس تحطيم الواقع الى جزئيات ، او على اساس تجميع هذه الجزئيات في كلي لا تعرفه الطبيعة ، او لا تحسن تشكيله .. وليست العوالم الكاملة التي خلقها المصورون والشعراء والروائيون طيلة التاريخ ، بما فيها من تعال وسمو على الواقع الا بعضا من هذه القدرة الهائلة التي للخيال على تصفية العلاقات والقوانين والصور الطبيعية ، والوثوب من فوق ذلك الحطام غير المتناسق للعالم ، الى صفاء عالم جديد تأخذ فيه الاشكال والمخلوقات والقيم ، طبيعة جديدة مختلفة كل الاختلاف عن طبيعتها العادية .

فاذا حاولنا ان ننفذ الى اعماق صورة شعرية مثل:

« عيناك غابتا نخيل ساعة السحر »

نجد اننا سوف نبدأ اولا باقامة عملية تطهير بسيطة ، تجعلنا نوافق بداهة على قبول اية صورة غريبة كما لو كانت جزءا من عالمنا المعروف ، وهذه الموافقة الضمنية على ما يسمى بالخداع الشكلي هي شرط اولي للامساك بتفصيلات هذا العالم المجنح ، وعدم التوقف بعد ذلك بدعوى الغربة عنه .

فإن يبلغ الخيال حد تصوير العينين بغابتي نخيل، امر من الصعب وضعه موضع التحقيق ، وسوف يحتاج الامر الى قدر كبير جدا من الصفاء الداخلي ـ بعبارة اخرى من القدرة الهائلة على تخطي العالم الـــذي نعرفه ـ كيما يمكننا ان نحقق هذا الاستسلام لعالم عجيب ، يريدنا الشاعر ان نجتازه .

وما يدعونا الشاعر الى فرضه ، ليس امرا خارقا في حد ذاته ، فاذا لم يكن احدنا قد راى (السحر) في غابة نخيل ، فهو لا بد قد راى العنصرين منفردين ، اي راى غابة نخيل وحدها ، او على الاقل شجرة نخيل واحدة ، وراى ايضا غسق السماء الوردي ، وما يحدث بعد ذلك هو اضافة او جمع العنصرين داخل اطـــار واحد . هي عملية جد عادية ، ولكنها اذا التفت بالعملية التالية ، وهي احالة هذا المنظور واسقاطه وصفا لعينين فقدت العملية عاديتها ، ودخلت في حدود الطلاسم .

رأينا حتى الان ، ان الاداء الذي صدر عن الشاعر واحدا فردا ، قد انحل هنا ـ بالنسبة للقارىء ـ الى عمليتين ، تتصل احداهما بتحطيم الوحدة التي اصطنعها الشاعر ، وتتصل الاخرى بقدرة المتذوق علـى مزج الوحدة السابقة بوحدة اخرى ليست من طبيعتها ولا شكلها ولا نوعها .

ولا نقول ان ما حدث في باطن القارىء من تحطيم للوحدة ثم اعادة مزجها بوحدة اخرى ليست من طبيعتها يشبه بالضبط ما حدث في باطن الشاعر ، فالعملية هنا مختلفة تماما عن تلك .. لان ميزة الشاعر هي انه يرى ويسمع ويتخيل في نفس الوقت ، صورة وصوتا واحدا بينهما ما هو اكثر من الانسجام ، فهو لا يحلل ، ولا يجهد ذاته في اصطناع صورة متفقـــة مع الصوت السري الموسق الذي يسمع ، او في اصطناع صورة تتفق مع الصورة السحرية التي يرى ، فالصوت والصورة يكونان معا وحدة لا تنفـخ في باطنه .

صحة الاداء في هذا الشطر سببهـا الاول هو « احتمال » مطابقة الصورة المطروحة مع الواقع ، ولا اقول مدى قرب الصورة من الواقع ، لان من شأن ذلك ان يضفي القيمة الاعظم على نماذج الاداء التي تتشبه بالواقع تشبها صارما ، فاحتمال **حدوث هذا الشكل** من اشكال الرؤية لا يعني بداهة تحقق **حدوثه ؛ اذ اننا** عندما نشبه الطائرة بالطير مثلا ، تكون مصيبين لان الاثنين يملكان من الخصائص الاتفاقية شيئا كبيرا ، الذيل ، الجناحين ، الهيكل الانسيابي ، القدرة علـى الطيران .. اما صورة العين بالتقابل مع غابة النخيل ، فلا شيء يجمع بينهما من حيث العلاقات ولا من حيث البنية ، على اننا لا نستطيع ان نرفض مثل هذا التعبير باعتباره شريحة مختلفة عن الشريحة المحال اليها . فالتطابق اعلى هنا من الافتراق وخاصة اذا لاحظنا ان ثمة ما يصل بينهمـا ، رغم هـــذا الافتراق : فالشاعر قـد ترك لنـا صورة خاليـة كي نملأها بلون الصورة الاخرى : اذ انه لم يقل **« عيناك العسليتان غابتا نخيل ساعة السحر »** (١) .. والا اوقعنا في حرج الاداء المغلوط ، حين نحاول عبثا تصور لون من الالوان على انه لون اخر . بل ترك لنا حرية ملء الفجوة في صورة عينين لا لون لهما ، تقبلان ما سوف نضفيه عليهما من لون مقترح .

اننا نبحث عن الاختلال الـــذي يحدث في باطن الشاعر بين الصورة والصوت ، او بينهما معا وبين القيمة المطروحة ، مما يقلقل الى حد بعيد تعبيره الشعري ويقلل ايضا فرصة القارىء في التعرف بشكل عام او جزئي على العالم المقترح ، معتبرين هذا الاختلال ، الشكل الاكبر من اشكال الاداء المغلوط ، على انه لا بد لنا ان نوضح التباسا من السهل حدوثه حين نعزو نتائج الاختلال العارض احيانا الى الاختـلال الدائم ، او العكس بالعكس . فمن شأن الاختلال الدائم لا ان يخل وحسب بالصورة الفنية او الخيالية ، بل ان يخـل بالالوان والرؤى والتعابير والكون والعلاقات جميعا ، في حين يظل الاختلال العارض مقتصرا على التعبير الفني، اذ ان دوام الاختلال ناتج في الاصل عن مرض نفسي او

(١) لم نثبت هذا المثال المقترح على انه النموذج للاداء المغلوط ، انما اردنا ان نمثل له وحسب ، فاخترنا احدى درجاته القصوى.

● اننا نبحث عن الاختلال الذي يحدث في باطن الشاعر بين الصورة والصوت او بينهما معاً ، وبين القيمة المطروحة ، مما يقلقل الى حد بعيد تعبيره الشعري ويقلل ايضاً فرصة القارئ في التعرف بشكل

بدني ، اما ان يدفع الخيال بعيدا لحد لا يطال ، واما ان يربكه فيحدث فيه شوهة لا تمحى .

فالفنان المريض لا يرى الدنيا قاتمة وسوداء كما هو الشائع ، بل انه يقوم بعملية اختيار حرة ، يصفي فيها البهيج والسار والملذ — قادرا على التمييز بين الاسود والابيض — متمسكا بالمؤلم والقاتم والشاق .. ولكن ، فلنحذر ، اذ ليست تلك قاعدة تصح على الجميع فثمة شعراء وكتاب اعطوا العالم كونا متفتحا بهيجا ، حيث كان الداء ينخر فيهم نخرا ..

على اننا لسنا بحاجة الى دراسة الاختلال الدائم ، فهو مجال اخر لا بد من العودة فيه الى اصول اخرى مختلفة ، تتخذ من المرض النفسي او البدني مكيالا تكال به الرؤية الفنية وتوزن ، وما يهمنا اولا هو ما يحققه الاختلال العارض من تركيب غير متلائم في البيئة الفنية ، وبهذا المستوى تصبح دراستنا جمالية بالدرجة الاولى ، وهو ما نقصد اليه .

قلنا ان صحة الاداء تعني (احتمال) ان يكون العالم المطروح جزءا من عالمنا مهما كان فيه من المبالغة والتهويل ، ومن شان ذلك ان يدل على صحة المفاهيم العقلية والنفسية ، وصحة التوازن القائم بين جماع الشرائح المختلفة التي تنسج العالم الشعري .

فاذا تصورنا التكوين الشعري تآلفا من عدة انغام وافكار وصور ورموز ، على ما تنحل له كل شريحة منها الى اعداد معينة من الطبقات والدرجات والمنحنيات والانكسارات ، كأن تكون النغمة عالية او خافتة ، بطيئة او سريعة ، لحنية او مصاحبة ، ممدودة او مبتورة الخ .. امكننا ان نتصور مدى الجهد الكيميائي الحاذق الذي يبذله الشاعر لتنسيق هذه الكميات المختلفة بدرجاتها المتعددة ، ثم وضعها جميعا في تآلف واحد ممزوج مع درجات الشرائح الاخرى المختلفة ، له طبيعة العالم المعروف بدون ان يكون هو نفسه .

فاحتمالية العالم المطروح تعني الصحة ، لان الوحدة التي تخلق مثل هذه الاحتمالية تعني انسجاما بين الذات والكون ، قائما على حس سليم بهذا التآلف العميق الموجود في العالم والمجتمع . ولا ضرورة لان يكون هذا التآلف قائما على علاقة سلبية ، فاكتشاف الفوضى والعبث والالم ايضا ، هو اكتشاف لمثل هذا التآلف النقيضي الكائن في طبيعة الاشياء .

والميزة الاولى لهذا الانسجام تكمن في الصيغة النهائية للاداء حيث يظهر في شكل متناسق وسيال ومركب تركيبا عجيبا لا خلل فيه ، ولا يحس القارىء له بالمجهود الذي بذل فيه ، فكأنما كان عفو الخاطر ، شيئا الهيا لا صنعة فيه ولا اعادة نظر ، وخير انموذج لهذا الانسجام قول الشريف الرضي :

« وتلفتت عيني فمـذ خفيت
عنهـا الطلول تلفت القلب »

ولن يجد الدارس كثيرا من مثل هـذا البيت الشعري الذي يحمل في باطنه محتوى آسرا عميقا ومطروحا في كلمات قليلة وحلوة في شعرنا العربي ، لان ترادف الصيغ ، وتاريخية الاعتماد على الصور التقليدية، يخلان الى حد بعيد بحساسية ذلك الميزان الدقيق الذي يخلق مثل هذا التآلف العظيم بين الصورة والصوت والقيمـة .

ان وجود لفظة (فمذ) وضعت العاطفة في مكانها المنضبط ، فالقلب لم يتحول نحو الطلول الا في لحظة غيابها عن العين . وبهذا تقارب حدا النظر واهتزاز العاطفة ، بحيث لم تكن هناك فترة من فترات الغياب . وهكذا استطاعت لفظة دقيقة ان تزن محتوى وموسيقى بيت باكمله .

وقل مثل ذلك عن كلمات مثل (وتلفتت) و(خفيت) التي لا يمكن ان يستعيض الدارس منهما اية كلمات اخرى تعطي ذات المدلولات او ما هو قريب منها .

باية معجزة تمكن الشريف الرضي من (تشكيل) هذا البيت المتآلف العظيم ؟ لا نجد للوهلة الاولى ما يشبه النحت اللغوي ، او ما يشبه التركيب البنائي ، لان ما يبدو لنا ليس الا مزيجا كيمياليا لا تظهر فيه

عام أوجزئي على العالم المقترح ، معتبرين لهذا الاختلال ، الشكل الأكبر من اشكال الأداء المغلوط ، على انه لا بد لنا ان نوضح التباسا من السهل حدوثه حين نعزو نتائج الاختلال العارض احياناً الى الاختلال الدائم

الكلمات وحدها ، ولا الموسيقية وحدها ، ولا الدلالات وحدها ، انما يجمعها في محلول واحد عبقرية فذة تمكنت من تحليل درجات كل وحدة الى ما ينسجم مع تحليل الوحدات الاخرى مجتمعة .

والفارق بين التركيب البنائي ، والمزيج الكيميائي ليس فارقا في الصنعة وحسب ، انه ما يفصل الصدور التلقائي ، عن عمليات القياس والموازنة والتطابق والتآلف التي تهدد بان يكون نصيب العقل فيها كبيرا . بل لو طرحنا مقدار تدخل العقل وحاولنا التثبت من قيمة واهمية ما يعطيه الوجدان بالنسبة للعمليات السابقة (**القياس ، الموازنة .. الخ**) فسوف تبدهنا للوهلة الاولى مجموعة من الانحرافات التي تظهر في شكل اختلال في الصور او في الموسيقى او بشكل غموض شديد في المضامين .

فاذا كان نجاح عمليات القياس والموازنة .. الخ قاصرا على المدى الذي يتدخل ويفرض منطقه وحججه، مما يفشل عملية الخلق الشعري كلية ، فان الجوانب الوجدانية في هذه العمليات تقيم نوعا من التفكك ، او — بلغة صحيحة — من سوء التركيب الذي يمكن للعقل وحده ان يحققه بنجاح كامل . فنحن نحس في البيت الذي يقول فيه المتنبي :

لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيد

سوءا في التركيب منشاه الاساسي ، اختلال مؤقت في العاطفة ، خلق اختلالا مؤكدا في المضمون ، لم يسر على القالب او الموسيقى او النبرة ، حيث ظلت منسجمة مع ما في بقية الابيات من حلاوة شكلية . فالعارض الذي دفع بهذا الشاعر العظيم الى الثورة على **كافور** ، وهو المرموز اليه (بالعبد) ، بط القضية في وجدانه . بحيث صارت قضية عامة تسقط على العبيد بشكل عام ، وتصفهم بانهم **انجاس مناكيد** ، والخطا ليس في القضية المنطقية **اهم انجاس مناكيد ام لا** ؟ بل هو في عدم قدرة الشاعر انجاز المضمون بشكل وجداني .. فالقضية التي طرحها المتنبي تشبه صيغة من صيغ النثر ، وعندئذ يمكن استبدال كلمتين من هذا النظم ليصبح المحتوى نثرا كلية : « **لا تشتر العبد الا والعصا معه ، لانهم انجاس مناكيد** » .

اما بيت الشريف الرضي فيقع فوق الاستبدال ، لانه من عجينة اخرى غير عجينة التراكيب العقلية او الوجدانية التي يختل فيها فجاة نظام المعادلات الداخلي فيظهر القصد احيانا كما لو كان احجية ، او — كما هو في الغالب الاعم — كما لو كان قضية منطقية .

مثل اخر نقتطفه عرضا من صلاح عبد الصبور :

« ولست انا الامير يعيش في قصر بحضن النيل
يناغيه مغنيه
وملعقة من الذهب الصريح تطل من فيه .. »

نجد ان لفظة واحدة قد خلخلت البناء الشعري ، حيث لم تزده شيئا ، وان كان وجودها سندا ضروريا لموسيقى الشطر ، فلفظة (الصريح) قد اتى بها الشاعر في حالة من انعدام الاتزان بين النغمة والضمون . ذلك لانها احدى الكلمات الزائدة التي تطفو على وجه المعنى دون ان تزيده او تنقصه ، وان كانت تضيف الى ميزان الموسيقى درجة واحدة تنقذه من السقوط الشكلي .

الصورة الكاملة هنا هي (**ملعقة الذهب في الفم**) وسوف نلاحظ ان لفظة (تطل) تماثل (الصريح) في لا جدواها — وهي الصورة التي انتهى اليها الشاعر تعبيرا من وضع الامير الذي (**يعيش في قصر بحضن النيل**) فما ان اختمرت الصورة ، حتى تدخل الحس النغمي فارضا ذاته ، في محاولة لافساد المعنى واخضاعه .. وقد رضي المعنى بهذا التدخل القاصم ، فزاد لفظتين سندتا الشطر ، وان لم يحدث الاختلال الكامل في المضمون ..

سوف نجد ان بناء هذا الشطر تركيبي في مجمله ، ليس فيه ما في المحلول الكيميائي من تناغم داخلي واتساق وامتزاج .. بل فيه كركبة مردها كما قلنا الى تدخل غريب حدث من جهة لا يهمها الا الاتزان ، وخضعت له جهة لا يهمها الا المعنى .

ولو حدث التآلف بين الجهتين لحدث تغير اساسي في الصورة بحيث لا يحدث تنازل من جهة منهما » ولادى ذلك اما الى خلق صورة اخرى جديدة لا يشترط فيها ان تدل على ذات المعنى ، وان اشترطت القرب منه .. واما الى خلق وحدة نغمية مختلفة ، تحافظ على المضمون كما هو ، وتغير من الايقاع ، وذلك ايسر بالطبع من تكلف لفظتين لا تخدمان المعنى ، ولا تؤديان الى شيء بعينه .

كثرة نماذج هذا النوع من الاداء المغلوط ، تدعونا الى الوقوف منه موقف الحذر فهو خطا تقليدي وقع فيه الكثيرون من الشعراء القدامى والمحدثين :

١ — بيضة خدر(مكنونة)برزت للناس منشورة غدائرها
ابو يعقوب الخريمي

٢ — نظام من السحر (الحلال) مخيل
لسامعه ان الكواكب تنظم
السري الرفاء

٣ — اخضر اللون كالزمرد في احمر (صافي الاديم)كالارجوان
ابو بكر الصنوبري (١)

غير ان نماذج المحدثين ابشع واسوا ، لان ما ذكرناه حتى الان ، وما هو شائع بين طبقات القدامى،

هو نمط بسيط من انماط الاداء المغلوط ، وهو غالبا اضافة صفة ما الى الشيء المطروح ، او التمثيل له بما لا يستوجبه التمثيل ، كقول الصنوبري : « **اخضر اللون كالزمرد ..** » اما المحدثون فيقعون فيما هو شر من ذلك ، اذ ان نماذجهم من الاداء المغلوط مركبة ومعقدة، ودالة على قصر شديد في باعهم ، ونقصان ممحل في اعمالهم ، يستوى في ذلك كبيرهم وصغيرهم :

١ ــ قابعا في ارتعادة الخوف ، يختض ارتياعا ، لان ظلا مخيفا يرتمي (ثم يرتمي) في اتئاد ..

بدر شاكر السياب

٢ ــ لو عاش كان سيدا

« يحمي الحمى المسودا »

صلاح عبد الصبور

٣ ــ حيث صوت الضحايا (الرهيب)

نازك الملائكة

الواقع ان المثال الاول للسياب، انموذج واضح للتردد التعبيري ، اذ ان المفروض ان تكون حركة ارتماء الظل بطيئة ومنسحبة ، لتعطينا انفعال الرعب الذي تحققه الحركة الوئيدة التي تبدأ واهية واهنة ثم تعظم وتتسع في بطء شديد ساحق . يعبر السياب عن ذلك بتكرار (يرتمي) ، وهي لفظة سريعة لا تنسجم مع انسلال الظل واتئاده ..

اما المثال الاخر لعبد الصبور ، فهو انموذج لاختيار الطريق الايسر ، ولعدم الامانة ايضا . فالجملة باسرها من الجمل التقليدية التي لا يتكلف حتى الذهن العامي جهد انتشالها من الذاكرة . ولن يعترض مطلقا على هذا بان عبد الصبور شاعر ملتزم باليوت الذي يستخدم مثل هذه المعارضات الخاصة والاقوال في صلب اعماله ، وذلك لان استعارات اليوت معقولة ولها هدف بعينه ، موضوع لخدمة ما يرمي اليه . اما استعارات صلاح عبد الصبور فهي روحه التقليدية اولا والتي نجدها في كثير جدا من اعماله المبكرة والحديثة ، وهي ثانيا رغبته في ان يسند الشكل الخارجي عنده .

الاختلال عند هذين الشاعرين منشاه عدم الامانة في الاحساس . فالاثنان يقعان على كلمة لا توصل بشكل صحيح الى الانفعال الذي بحسانه ، وهما اما لسرعة التجربة ، واما لسبب اخر ، يأخذان بالكلمة السريعة ، لانها تؤدي بعض الغرض ، وهما لا يتكلفان عذاب المخاض للوصول الى الطريق الصحيح . ولست اقول ان السهولة وحدها هي التي دفعت بهما الى هذا الدرب الذي يلجأ اليه الشعراء المقصرون ، بل اقول بان عدم الاتزان الناشيء بين الخيال وبين القيمة المطروحة او الانفعال ، وهو الذي يحقق مثل هذه النماذج الرديئة ..

تنحل التجربة الشعرية الى تجارب ثلاث : **الاولى** هي تجربة الشاعر ، **والثانية** هي تجربة القصيدة بشكل عام ، **والثالثة** هي تجربة القارىء الذاتية . والحق ان الارتباط بين هذه التجارب جميعا ، ليس ارتباطا بين ذوات مختلفة ، لها مفاهيم ووجهات نظر متعددة ومتناقضة ومتصالبة ، بل هو ارتباط بين تجربة لها رأس ووجه وجسم يضيف اليها القارىء بعضا من الرتوش هنا وهناك ليتجسد المنظر المتكامل بكل ابعاده الوجدانية والعقلية في وعي القارىء ومشاعره ، والشاعر انما يضع عندما يحدد موضوعا ذاتيا ــ مهما كانت درجة ذاتيته ــ اصول الشراكة بينه وبين عمومية التجربة اولا . ومن شان هذا العنصر الثاني ان يتقلب بالاف الاشكال حسب نوعية وجدان ومشاعر وعقل كل قارىء على حدة .

لا يضع الشاعر تجربة القارىء في وعيه ، فلا صلة مباشرة تربط بينه وبين هذا القارىء مجهول الهوية اما الرباط الحقيقي الذي يلزم الشاعر فهو عمومية التجربة التي تضع (احتمال) ان تتحقق هذه التجربة في وجدان القارىء ، موضع الاهمية والخطورة .

ولا يعني الاتزان لدى الشاعر بين ملكة الخيال عنده ، وبين الموضوع او الوجدان ، الا اتزانا مماثلا بين تجربته هو الخاصة ، وتجربة القصيدة بشكل عمومي ، مما يحقق بيسر او صعوبة ، عملية التوصيل بالنسبة للقارىء .

وقد لاحظنا في النماذج القديمة والحديثة السابقة، بعضا من هذه النقائص التي تقف حجر عثرة بين تجربة الشاعر الخاصة ، وبين التجربة العمومية . فمما لا شك فيه أن العناية والكلف بالشكل او بالمخارج الصوتية او الموسيقى او بالوزن ، من شانه ــ لو تم ذلك على حساب التجربة ــ ان يضعف هذه الصلة المفروض ان تكون حميمة بين تجربة الذات الشاعرة ، والمفهوم العمومي للتجربة ..

كيف يتحقق هذا الاتزان اذن ؟

قلنا ان الشاعر يرى ويسمع ويحس في نفس الوقت ، صورة وقيمة وانفعالا ، وهذه جميعا عناصر التجربة الشعرية ، التي لا تكتمل الا بعملية اطلاق اسر هذه الرؤية الموحدة في كلمات تعطي ذات الوحدة في الصورة والقيمة والانفعال ، الذي يؤدي بدوره الى وحدة التجربة العامة .. ثم الى وحدة التجربة الخاصة في باطن القارىء ..

(١) النماذج من « ديوان الشعر العربي » ــ الكتاب الثاني . اختيار علي احمد سعيد (ادونيس) المكتبة العصرية ــ بيروت .

نماذج من الأداء المغلوط

الكلمات اذن والموسيقى والانغام هي المعابر الاساسية التي يعتمد عليها الشاعر في توصيل عماء التجربة الشامل الى القارىء . وليس هاما ان تكون تجربة الشاعر عمومية او قابلة للنقل باي حال . بعبارة اخرى ، ليست هناك اشتراطات معينة توجب ان تكون تجربة الشاعر من نفس حجم واعماق التجارب التي يخوضها الانسان . فقصيدة مثل **(كوبلا خان** KUBLA KHAN **) لكولردج ،** تعتبر احدى القصائد المغلقة تماما على التجربة العامة . ورغم ذلك استطاع هذا الشاعر العظيم ان يعتمد على كلمات سحرية وغامضة **(كجبل ابورا) و(الغادة الحبشية)** ، بحيث اعطى جوا شرقيا تحوطه الاسرار التي تلصقها العقلية الغربية عادة بكل ما هو شرقي ..

رغم ذلك ، تظل تجربة القارىء الخاصة ، قاصرة عن ان تحيط بالقصيدة جميعا . ولكن من الصعب القول بان غموض القصيدة قد عطل حساسيات القارىء تماما بالنسبة اليها ، ففي هذه الحالة كانت الكلمات موحية في خلق مثل هذا الجو الذي عاشه الشاعر حالما كان او يقظا . والانطباع الاول لدى دراسة هذه القصيدة هو اكتمال الرؤية والسمع والبصر في لا وعي الشاعر بحيث كانت الكلمات المستخدمة جسرا وحسب بين التجربة الشعرية ، وعمومية هذه التجربة ـ اي قدرتها على الوصول الى الاخرين ..

لا يتحقق الاكتمال اذن الا بوحدة فوق منطقية ، بين هذه العناصر التي تكون الشعر ، اي بين البصر والاذن والحس الوجداني والحس النغمي جميعا ، بحيث لا يصير الصقل او الحذف الا بناء على صوت داخلي مقيم ، وليس على مهارات خارجية تحاول تقريب الصورة التعبيرية الى الصورة الكامنة في الوجدان .. او على القناعة باتصاف التعابير التي توصل الى وجدان مشابه ، او تجربة مقاربة ، كالانموذجين اللذين نقلناهما سابقا للسياب وعبد الصبور .

الانماط التي ذكرناها حتى الان ، وقلنا انها تمثل الاداء المغلوط ، ليست الا انماطا اولية منه ، سوف يركبها ويعقدها بعد ذلك هذا الاهتمام الفائق بالكلمات او الاهتمام الاكبر بالمعنى والمضامين ، كما يحدث في تجربة الشعر اللبناني المنثور الذي يتردد كثيرا في هذه الايام ، وهي تجربة اقل ما يقال فيها انها بعيدة عن اعطاء حس حقيقي بالشعر كما يجب ان يكون ، فالاذن معطلة ، وكذلك الصورة المكتملة للتجربة او خامتها .

والشيء الوحيد المتضح بجلاء ، ليس الا الدفق العقلي الذي لا يصنع الشعر وحده ..

■■■■

التصويرُ ابن

ابو نواس مصور ماهر

التصوير اليدوي نوع من التصوير الشعري . والمصور شاعر ، ما دامت الفنون الجميلة تنبع من نبع واحد هو الحياة ، وترمي الى غاية واحدة هي الجمال.

لكن الشعر اوسع مجالا للخيال من سائر الفنون . والشاعر اقدر على التعبير عن خوالج نفسه . لان دائرته ارحب من تلك الدائرة التي يعمل فيها المصور على لوحته . ليرسم حالة من حالات النفس او صورة واحدة من صور الحس . اما الشاعر ، فاذا عجز في بيت او بيتين عن التعبير عن الصورة كاملة استطاع ان يعطيها في ابيات اخرى .

تلك حقيقة لا مجال للشك فيها . وهي ترينا كيف يتبارى الفنانون من الشعراء والمصورين في مختلف العصور في قوة التعبير ، وبلاغة الاداء ، وصدق الشعور وسمو الخيال .

متى وجد التصوير الشعري

وقد وجد التصوير في الشعر منذ وجد الشعر . لكنه تطور من الضعف الى القوة ، ومن البساطة الى التركيب تبعا لتطور الحياة الاجتماعية ، وتعدد صورها ، وتباين الوانها ، وكثرة ما خالطها من انواع الترف ، وما ابتكره الذهن البشري مما لم يكن معهودا في سابق



في شعرِ هانئ

بقلم : هداية سلطان السالم

الاجيال .

وجد التصوير في الشعر الجاهلي قبل ان توجد الحضارة الاسلامية ، وقبل ان يوجد ابو نواس فوصف الجاهليون الديار والاطلال ، وصوروا الابل والخيل واوابد الوحوش وجوارح الطير ، وافتنوا في تصويرها، وصوروا حياة البادية من خيام وفلاة وانواء ورياح وسهل وجبل . لكن هذا التصوير كان كحياتهم بسيطا، الا ما ندر من اقوال الشعراء الذين اقتربوا من الفرس او خالطوهم في جاهليتهم . فلما انتقلت الدولة العربية من غضاضة البداوة الى غضارة الحضارة ، وراق الشعراء من الوان العيش وصور المجتمع ما لم يكن لهم به عهد في الدولة الاموية ولا في صدر الاسلام وعصر الجاهلية ، اخذوا يفتنون في فنون الكلام بل كرهوا ان ينسجوا على منوال من سبقهم ، ووجدوا في حرية القول متسعا للتصوير الجديد وابتكار الاخيلة وتوليد المعاني. وكان في راس هؤلاء ابو نواس ، فقال في الخروج على طريقة السابقين :

مالي بدار خلت من اهلها شغل
ولا شجاني لها شخص ولا طلل
ولا رسوم ولا ابكي لمنزلة
للاهل عنها وللجيران منتقل
ولا قطعت على حرف مذكرة
في مرفقيها اذا استعرضتها فتل
بيداء مقفرة يوما .. فانعتها
ولا سرى بي فاحكيه بها جمل

الى ان يقول :

لا الحزن مني براي العين اعرفه
وليس يعرفني سهل ولا جبل
لا انعت الروض الا ما رايت به
قصرا منيفا عليه النخل مشتمل

انواع التصوير الشعري

والتصوير الشعري اصعب ابواب الادب . وهو انواع : تصوير المرئيات ، وتصوير الحالات النفسية ، وتصوير معاني الاشياء ، وتصوير الحوادث ، وكل منها اما ان يكون بسيطا او مركبا . واضعف الانواع التصوير البسيط للمرئيات كقول ابي نواس يصف الخمر

حمراء ، صفراء عند المزج تحسبها
كالدر طوقها نظم من الحبب

ويضيق المقام بنا لو عددنا هذه الانواع في شعر ابي نواس ، ونقول بالاجمال انه اتى في تصوير الخمر بكل ما يخطر لشاعر على بال . ولكننا نلاحظ انه في جميع وصفه وتصويره للخمر اذا استثنينا الحالات والحوادث التي قيلت فيها ؛ ليست مبتكرة . وان ابا نواس سار

فيها على نهج من سبقه ، على الرغم من ذمه في شعره للتقليد . فقد سبقه الى وصفها وتصوير مناقبها الخليفة الوليد بن اليزيد . ومن قبله عدي بن زيـد والاعشى والاخطل . بل يقول الرواة ان ابا نواس سلخ اكثـر تصويره للخمر من اشعار هذا الخليفة ومن معاصـره حسين الضحاك . غير اننا لا نغمط ابا نواس حقه في هذا المجال فقد كان خصبا فياضا الى حد لم يعـرف لشاعر غيره .

بين ابي نواس وابن الرومي

وقد اشتهر ابن الرومي في هذا الباب (التصوير) باستيعابه للمعاني وتعقبه لاحوال الاشياء حتى تأتـي الصورة كاملة . وابن الرومي قد ولد بعـد وفاة ابي نواس بنحو ٢٦ سنة . واشاد الرواة والادباء بدقـة تصويره ولا سيما في هذه الابيات التي يصور فيها خبازا يقوم بعمله :ـ

مـا انس لا انس خبـازا مررت بـه
يدحو الرقاق وشـك الملـح بالبصـر
ما بـين رؤيتهـا في كفـه كـرة
وبـين رؤيتهـا قـوراء كالقمـر
الا بمقـدار ما تنـداح دائـرة
في لجـة البحر يرمى فيـه بالحجـر

فاتى ابن الرومي في هذا التصوير المركب بمنظرين : احدهما الخباز وهو يتناول قطعة العجين فيدحوها حتى تصير رقاقة مستديرة ، وثانيهما منظر الماء وقد القى فيه بحجر فحدثت فيه دوائر ومن هذين المنظرين اعطانا ابن الرومي صورة هذه الحادثة كاملة بما فيها من حركـة سريعة . لكن ابا نواس قد سبـق ابن الرومي الـى التصوير المركب بما يستأثر فيه وحده بالاعجاب الكبير، وذلك حين يقول في تصوير احد البخلاء :

رغيف سعيـد عنده عـدل نفسـه
يقلبـه طـورا وطـورا يلاعبـه
ويخرجـه مـن كمـه فيشمـه
ويجلسـه في حجـره ويخاطبـه
وان جاءه المسكـين يطلـب فضلـة
فقـد ثكلتـه امـه واقاربـه
يكـر عليـه السـوط من كـل جانب
وتكسـر رجـلاه وينتـف شاربـه



ففي هذه الابيات الاربعة كوميديا ذات ستة مناظر : منظر « سعيد » وهو يقلب رغيفه تقليـب الحريـص المعجب الذي يقلب جوهرة ثمينة ، ثم منظره وهو يلاعبه ويناغيه مناغاة الام لطفلها الوحيد ، والمنظر الثالـث وهو يخرجه من كمه بين لحظة واخرى ليشمه فقط لا لياكله كله ، لانه يبخل به حتى على نفسه ، والمنظـر الرابع وهو يجلسه في حجره ويحدثه ويناجيه مناجـاة المحب الواله ، والمنظر الخامس ثورته كما يثور المجنون حين يأتي المسكين يطلب لقمة منه ، والمنظر السادس وهو يكر عليه بالسوط ويلاحقه في الطريق حتى يكسر رجله ، ولا يكتفي بذلك بل ينتف شاربه ايضا ..!!

ما هذا ؟... اليست هذه . امة التصوير ؟؟

ويقول ابو نواس في هذا النوع من التصوير المركب، وهو اعلى انواع التصوير :

رايت « الفضـل » مكتئبـا
يناغـي الخبـز والسمكـا
فاسبـل طرفـه لمـا
رآني قادمـا وبكـى
فلمـا ان حلفـت لـه
باني صائـم ضحكـا

وليتمثل القارىء هذا « الفضل » الذي مر به ابـو نواس ، وهذا « الخباز » الذي مر بـه ابن الرومـي وليقارن بين حالتي كـل منهما ، ثم بين موضوعـي

الصورتين ، فيرى ان الصورة او الصور التي رسمها النواسي ادق واصعب من الصورة التي رسمها ابن الرومي . فابو نواس صور حالتي الفضل الحسية والنفسية، ورسمهما مزيجا واحدا في شكل تهكمي غريب يعجز الرسام عن رسمه ، اما ابن الرومي فقد صور حالة حسية واحدة ، استعان فيها بالتشبيه بشيء اخر ولولا هذا التشبيه بلجة البحر يرمى فيه بالحجر لما وضحت الصورة .

التصوير في الطرديات

وللتصوير في طرديات ابي نواس المقام الاول . والطرديات هي اشعاره التي نظمها في الصيد ووصف ادواته وحيواناته كالكلاب ، والقوس والسهام والطرائد . وقد اجاد في تصويرها بما يجعله في الصف الاول بين شعراء الجاهلية الذين امتازوا في هذا النوع.

فانت تقرأ له تصويره لكلب الصيد ، فلا تشك ان هذا الكلب الذي حوى هذه الصفات الكاملة ، والذي سعد اهله من كده ، وسعدت جدودهم بجده ، والذي كل خير عندهم من عنده والذي يظل مولاه له كعبده ، تقول لا تشك في ان هذا الكلب كان خير كلاب العالم طرا .

التصوير الغزلي

ولم يخل باب من ابواب الشعر التي طرقها ابو نواس من التصوير البديع . ففي مدائحه ومراثيه بل عتابياته وزهدياته الوان من التصوير تفوق في الكثير منها على غيره من الشعراء . دع غزل المذكر والمؤنث ، فقد كثر فيه التصوير . ونذكر من تصويره في غزل المؤنث قوله ، وهو من التصوير المركب :

وعاشقين التف خداهما
عند التثام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان ياثما
كانما كانا على موعد
لولا دفاع الناس اياهما
لما استفاقا اخر المسند
ظلنا كلانا ساتر وجهه
مما يلي جانبه باليد
نفعل في المسجد ما لم يكن
يفعله الابرار في المسجد

ذلك تصوير لا يخطر الا على بال شاعر عبقري يسمو به الخيال . فيأتي من الصور المبتكرة ما يملك اللب ويستحث النفس الى الاعجاب . ومن اين عرف المحب انه سيكون مع حبيبه في هذه اللحظة يقبلان الحجر الاسود بالكعبة ، واي مصادفة هذه التي جمعتهما في هذا الوضع الجميل الذي يتمناه العاشق ، لولا خيال ابي نواس وتصوير ابى نواس !؟

وكان اظهر مزايا النواسي ابداعه في خمرياته وغزله فقد اجاد غاية الاجادة وتخطى حدود الابداع وتفنن فيها ما شاءت له عبقريته وفنه واصبحت خمرياته — على الاخص — اكبر آيات شاعريته وصارت مضرب الامثال في كل العصور حتى خصه المعري في رسالة الغفران بالحكم على شراب الجنة ورآه في هذا الباب فيصلا ترضى حكومته ولا يرد له راي فقال :

« ولو جرع منه الحكمى (1) لحكم بانه الفوز »

وقد صور نفسه على حقيقتها حيث قال :

وهان على الناس فيما اريده
بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
رايت الليالي مرصدات لمدتي
فبادرت لذاتي مبادرة الدهر

ومن التصوير الذي ينسجم مع تصوير الافلام الحديث ما نظمه ابو نواس في هذه الحادثة التي وقعت بينه وبين حبيبته بنان . فقال :

كتبت على فص لخاتمها
من مل محبوبا فلا رقدا
فكتبت في فص ليبلغها
من نام لم يعقل كمن سهدا
فمحته واكتتبت ليبلغني
لا نام من يهوى ولا هجدا
فمحوته ثم اكتتبت : انا
والله اول ميت كمدا
فمحته واكتتبت تعارضني
والله لا كلمته ابدا

اليست هذه عدة صور تحتاج الى عدة لوحات بل تحتاج الى « فلم » طويل ؟

ان ابا نواس كان مصورا باهرا ، استطاع ان يرسم بقلمه في بساطة ودقة صورا كاملة لحياته في الجد واللهو وللبيئة التي عاش فيها ، والعصر الذي ظهر فيه ، وكانت ابرز صفة فيه جراته العنيفة وحريته في التصوير وهي حرية كان ينشدها الفنانون في ذلك العصر كما ينشدها الان الفنانون في العصر الحديث .

---

(1) الحكمى : لقب ابي نواس

هدية الشاعر

شعر
عبد الله العتيبي

هديتي في عيدهـــا : قصيدتـــان :
سكبت فيهما خلاصـــة الحنـــان
ونشوة الربيـــع وابتسامـــة الزمـــان
هديتي في عيدهـــا : قصيدتـــان
لخصت فيهمـــا الذي يعجز اللســـان
عن وصفـــه . ويرهب البيـــان
هديتي في عيدهـــا : قصيدتـــان

لانني فتشت في خزينتـــي
فمـــا وجدت غير درهميـــن
ومـــا وجـــدت في استطاعتي
ســـوى شراء شمعتيـــن
فـــابتعت شمعتيـــن .

احرقتـــا في معبـــد البيـــان
قدمتـــا قربـــان
لكي برق لـــي ويترك الخيـــال
يهيم في مـــدائن الحـــروف
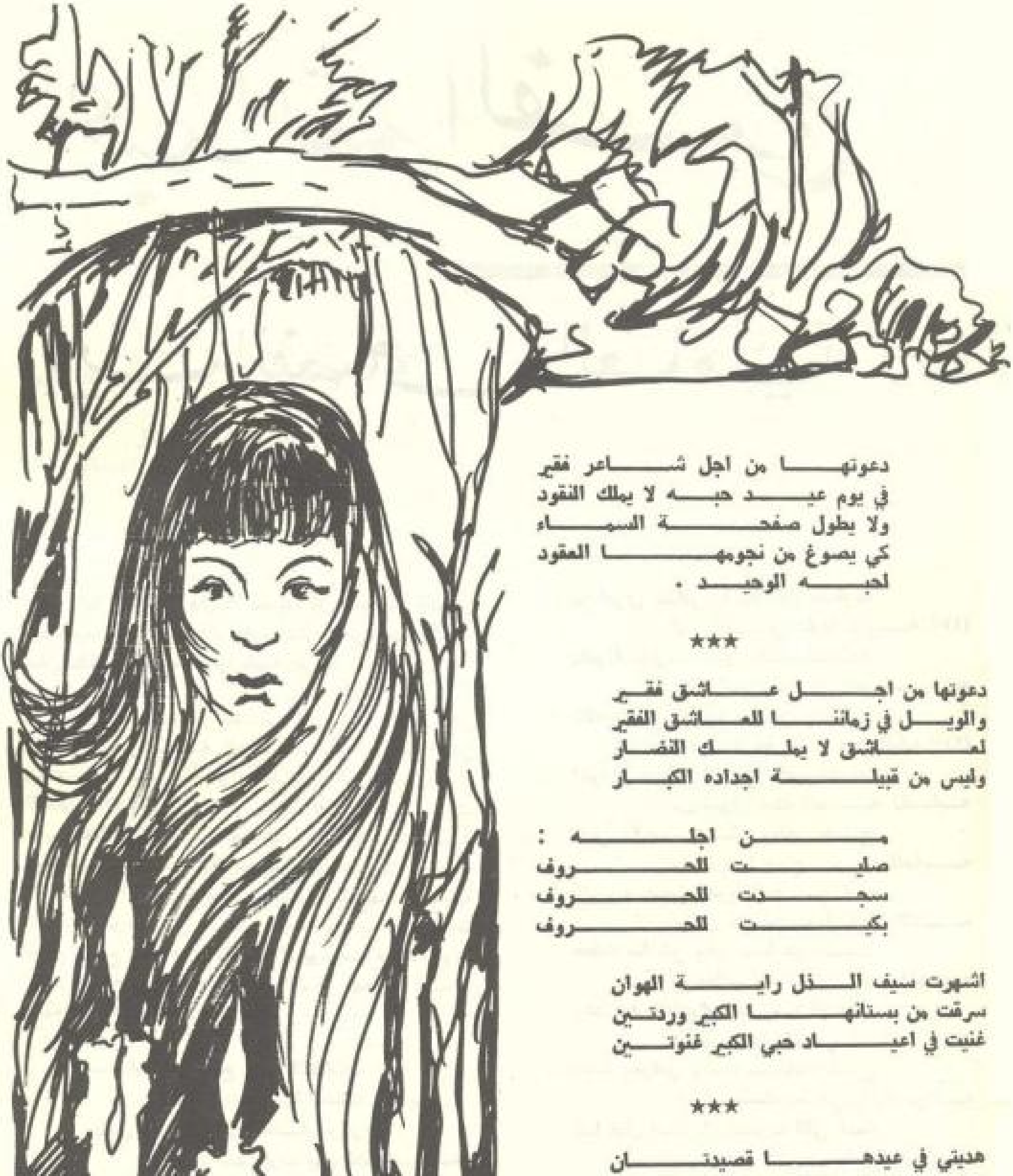
لكنها الحروف ـ يـــا احبتي ـ الحروف
ابت علـــى مثلي مس عريهـــا
ابت علـــى مثلي سبر غورهـــا
وان يمـــر في عالمهـــا يطوف

***

والحـــرف ـ يـــا احبتي ـ عـــزوف
الا لمـــن يعرف مـــن اسراره الالـــوف
وهو لـــداري سره قيثـــارة هتوف

***

لكنني سكبت دمعتيـــن
سجـــدت فـــي محرابهـــا
صليت ركعتيـــن .



دعوتهـــا من اجل شـــاعر فقير
في يوم عيـــد حبـــه لا يملك النقود
ولا يطول صفحـــــــة السمـــاء
كي يصوغ من نجومهـــــا العقود
لحبـــه الوحيـــد .

***

دعوتها من اجـــل عـــاشق فقير
والويـــل في زماننـــا للعـــاشق الفقير
لعـــاشق لا يملـــك النضار
وليس من قبيلـــــة اجداده الكبار

مـــــــن اجلـــــه :
صليـــت للحـــروف
سجـــدت للحـــروف
بكيـــت للحـــروف

اشهرت سيف الـــذل رايـــة الهوان
سرقت من بستانهـــــا الكبير وردتين
غنيت في اعيـــاد حبي الكبير غنوتـــين

***

هديتي في عيدهـــا قصيدتـــان
خلاصـــة الكـــلام فيهمـــا
انـــي علـــى انتظـــار
وليسقط الجـــــــدار

***

عبد الله الفرج

بين الفصحى والعامية (٢)

واما في الهجاء فان له قصيدة من اعنف ما قاله في الهجاء وقد صب فيها جام غضبه على راس عجوز كانت تقطن بالقرب من بيته ولها قصة طريفة معه .

فمن المعروف عن الشاعر انه علم من اعلام الفن والطرب وكان مجلسه الخاص (دخينه) عبارة عن منتدى رحب يلتقي فيه هواة الطرب وعشاق الفن ورواد الشعر والادب من امراء ووجهاء وغيرهم وكانت هناك عجوز تقطن بالقرب من بيت الشاعر وكانت كلما مرت حول بيته وسمعت الات الطرب وهي ترسل انغامها راحت هي الاخرى ترسل شتائمها وكلماتها المشحونة بالتهديد والوعيد الى صاحب البيت ومن فيه ، وعبدالله الفرج يسمع منها هذه الالحان كل يوم صباح مساء وقد اعيته الحيلة معها ، فلجأ الى الشعر يهجوها بـه ، والهجاء سلاح الشعراء ، قال :

يا نـــاس من يقلع مدى الكذابـة
واطلب عسى ما يستلاذ الا بـــه
من يلعن الشيطـان واختـه يوجر
ويفوز عند الرب يوم احسابــــه
بلـوى تبلتني عجوز غبـــرا
نمامـة فتانـــة سبابـــه
ما ادرى تظن الها حـلال عنـدي
والا لها شرط علي واتعابـــــه
اشوف غيري ما فرت عرضـه ولا
قامت تسايل عن هواه ودابـــه
ما ادري تحاذر يا ملا من سطوته
او خايفه يشي عليها كلابــــه (١)
ملعونة جازت عليها اللعنـــــة
حيث انها كالعقرب اللسابـــــه
كالحيــــة الرقطا عسى يهيأ لها
« صل » مقر السم بين انيابه (٢)
اعوذ بــالله السميع العــــالم
من شوف ذيك الحيــة المسابــه
تومي بكيعـــــان وظهر مدبـح
ولسان ما يبرح يسيـل العابــه
تشبـه عجوز للبريمي جـــد فنت
واظن ذي من نسل ذيك اللابـــه
حطت بنا شي وهو مـــا هو بنـــا
يا ويلهـــا من ربهـــا المغتابـه
محد يرد الفاجره عنـــا قبــل
يهجم عليها المنطني بحرابــه (٣)
طبت بعرضي واستبـــاحت شتمي
جـل عنـك ما هي يا ملا مرتابـه
شا قول انـــا بام العيوب اللي غدت
من سابق كالبرمــــة المتعابــــه
راكب عليها ابليس من عصر الصبـا
مختارها من بد كـل ركابــــــه
بانت لنا منهـــا العداوة بالضحى
انا اشهد ان الصلح صكت بابــه
الله عسى من عان قشرا مثلهـــا
يبلى من الفرقــا بفقـد احبابــه

يا معدن الخبث الذي من حينــه
ما صان عيبه وانستر بحجابــه
والله والله الــذي ترجى المــلا
عفوه وتخشى سطوتـه وتهابـه
يا ان ما عقلتي من جنونك هالذي
مدعيك لعروض المــلا تلابــه
لاطلاك بالزرنيخ مثـل الجربـا
لو كان طلايك يقط اثيابـه (٤)
بالعون جـاوزت الحدود بفعلك
واظن عمرك تم باقي حسابـه
ولي عسى مـالك صديق يذكر
ان فر بالصرف الدهر دولابـه
يا مال مـا ينقض من كبد السما
نجم يتيح من القدر واسبابـه
يدق منك الحيل وان دقـك فـلا
يرحمك خطـاف البصر مشهابـه
والا فجنـي يخلبص عقلـك
يجيك تحت الليل في جلبابـه
يجيك مثل الذيب حاديـه الطوى
يهجم عليـك مكشر بانيابـه
فهو الذي يقطع ارغاك ببطنك
وهنـاك يطوى دفترك كتابـه
فان كان لا هذا ولا ذا فالرجـا
ينزل على شيبك غضب (حبابه) (٥)
تامر عبيـد عندهـا ويجونـك
ناس بصورة جن والا ذيابـه
ما حلت الرحمـة بوسط قلوبهم
قشران مثل الحنشـل النهابـه
فيلا انضدوك اهل المشاعيب الصفر
والكل قفـا مشبع مشعابـه
جروك من رجلك سواة الجيفـة
واقفى بك الحباس يم «الدبابة» (٦)

وكانما شتائم هذه العجوز ودعواتها لاقت قبولا في السماء فان هذه الندوة ما لبثت ان انفرط عقدها وتبدد شملها وكانما كانت قوة هذه الدعوات استهدفت الشاعر اكثر من غيره ، فالعقد لم ينتثر والشمل لم يتبدد الا بالافلاس الماحق الـذي لحق به واتى على الاخضر واليابس فيه فاضطر بعد الثروة الضخمة التي تعد بالملايين وبعد الجاه العريض الى قبول الصدقة وانتظار الزكاة ، واخيرا الموت غريبا من بلده ، فقد روى انه لجا في اواخر ايامه الى بيت الحاج احمد النعمه في البصرة لاتقاء الجوع وبقي فيه الى ان ادركته المنية عام ١٣٢٠ هـ .

وهذا ما كان يخشاه صديقه محمد بن فوزان ويترقبه له ، فقد حذره من مغبة التبذير ومن بطانة السوء ، في جل قصائده تصريحا وتلميحا ، فقال مخاطبا اياه من قصيدة :

ارفق على المال الذي منه تعتاش
خله عن العازات يغنيك دايم

وقال ملمحا من باب التذكير :

واعرف ترا بالمال تصليح الاحوال
والا الفقر ما فيه كود الشناعـة
رجل بليا مال ما هو برجال
لو هو على الجسره طويل ذراعه

هذه نماذج حية من شعره الدارج في اهم ميادينه في الغزل والمديح والرثاء والهجاء لم نجهد انفسنا في اختيارها ولم نصرف من الوقت في اعدادها الا وقت نسخها من ديوانه ، تضعها امامك ايها القارىء العزيز لتعمل رايك في هذه المقارنة وانا على ثقة بانك سوف لا ترى صعوبة في الخروج منها براي حصيف .

معارضات عبدالله الفرج لاشعار ابن لعبون

الذي نلحظه على شاعرنا الفرج انه مولع بالمعارضات الشعرية لدرجة قصوى كما نرى ذلك واضحا في ديوانه الذي عارض فيه جل اشعار محمد ابن لعبون ، وبعضا من قصائد الشاعر عبدالله بن ربيعة .

وليس من عيب قطعا ان يعارض شاعر قصيدة لشاعر اخر لان ذلك من باب الاعجاب بالشيء ، او النزوع الى مضاهاتها ، ولكن العيب كل العيب ان يعارض كل قصائد هذا الشاعر غثها وسمينها ، ويختصه دون غيره ، ويعطل في نفسه ملكة الابداع والحركة ، فيصبح في نظر الغير عالة عليه . والشاعر الاصيل هو الذي يبدع ويسبق غيره الى المعنى والابتكار لا من يقلد غيره في كل خطوة ، كما هي حال عبدالله الفرج مع الشاعر محمد بن لعبون في معارضته له ، فابن لعبون قال :

بقلم : عبد الله الحاتم

يا ركب ما سرتوا بيوسف اليعقوب
قبل الفجر بنباح والليـل غريب

عارضها عبدالله الفرج بقوله :

يالله يـا ركب تعنى بمكتوب
حاوى سـلام ما حوتـه المكاتيب

وقال ابن لعبون :

خلا السفح يا عواد ما فيه من هله
عقب خبرنا به غير راك وصفصافي

وعارضها عبدالله الفرج :

على السفح للتسليم يا ركب عجلوا في
عسى بانحراف العيس لي مشف وشافي

وقال ابن لعبون :

هل الدار يا عواد الا منـازل
سباريت يا عواد خافي ارسومهـا

وعارضها عبدالله الفرج :

هل الدار الا خافيـات ارسومها
وهل شاخص في الحي الا رسومهـا

وقال محمد بن لعبون :

تعالي يـا سلمى تعـالي لجهـالي
وليفك عليـل دوم للتـالي

وقال عبدالله الفرج :

تحملت يا مي العنا منـك عزالي
ولا طعت بك باللوم عمي ولا خالي

وقال محمد بن لعبون :

يا منازل مي في نيـك الحزوم
قبلـة الفيحا وشرق عن سنـام

وقال عبدالله الفرج :

هل عرفت الدار خافيـة الرسوم
او منع عرفك لها منهـا الهـدام

وقال محمد بن لعبون :

يا منـازل مي عن قبـة حسن
من يسار وعن قبر طلحة يمـين

وقال عبدالله الفرج :

طال ليلي من جفـا جفني الوسن
عن نظير العـين وابديت الكمين

وقال محمد بن لعبون :

الا يا بـارق يوضي جناحـه
شمال وابعـد الخـلان عني

وقال عبدالله الفرج :

علامي ما امـل من النياحـه
وفشر السـد مفجوع كمنـي

وقال بن لعبون :

فلا ذر نور الشمس والشمس خدها
ولا القمر السيار ان شيف سـاير

وقال عبدالله الفرج :

تفكرت بالدنيـا وشفت العباير
ومن عاش في الدنيا يشوف العباير

وعارض الشاعر ابن ربيعه في قوله :

نفس عليها بيذق الفي شاهـا
غنى على المظهور منهـا وشاها
وبقيت اجاوب ساجعـات على الدوح
مستارق جفني عن النوم شاهـا
هاش الكرى عن فوق عيني بلابيـل
وبضامري ربى هواها بلابيـل
مالي ودمعي كن على خده بلابيـل
والروح عن جسمي بقلعت مداهـا
هادم ركن صبري ولا لي ملكهـا
ياما عليه احييت مظلم دجاهـا

وقال عبدالله الفرج معارضا لها :

انهاك يا نفس عناها وشاهـا
ما هوب عن (شاهه) بمنحى وشاها
اغـواك بـراق خلب وغـرك
زبط الرباب ومي وانما وشاهـا
هاش الغرام وراعني قل الانصاف
من مخجل غزلان حوضي والانصاف
بلوى بليت بمن حكى بدر الانصاف
من راقل بتغور قلبي رماهـا
هامر ضميري يا على منـه والنو
ورق الحمى من كثر مـا ون ونو

وقال ابن ربيعه :

من حاير يـاوى عدوه الحالـه
بين الجلا والعسر والكبر واعيـال
متسمت يورى الجلـد والجمالـه
وامسمر بـين التماني والامـال

وقال عبدالله الفرج :

من حـاير بابكـار الافكار متهوم
ما راح من لح النوايب هيامـه
يورى الجلاده والجلد فيه مـا لوم
من هاجس بالخوف كثر اوهامـه

وعلى الرغم من هذه المعارضات التي يمتلىء بها ديوان الشاعر عبدالله الفرج فان ذلك لا يعني عجزه عن الحركة والابداع والوصول بالمعنى الى ابعد مدى بين افئدة الجماهير ، فللشاعر عبدالله الفرج قلائد رائعة فيها من جمال المطلع وسهولة اللفظ ورقـة الاسلوب وسمو المعنى وفيها من الحركة والابداع مـا لا يمكن لشاعر معاصر ان يجاريه فيها او ان تحدثه نفسه بالوقوف الى صفه ، هذه حقائق ينبئك عنها ديوانه .

والمعارضات بين الشعراء كثيرة لا يحصرها القلم وهي في الغالب تحدث لاحد سببين ، المضاهاة او الاعجاب ، فاحمد شوقي مثلا اعجبته قصيدة ابن زيدون :

اضحى التنائي بديلا عن تدانينـــا
وناب عن طيب لقيانا تجافينــــا

فعارضها بقوله :

يـــا نـــائح الطلح اشباه عوادينا
نشجى لواديك ام ناسى لوادينـــا

وعارض قصيدة البردة للبوصيري :

امن تذكر جيـران بـــذي سلم
مزجت دمعـــا جرى من مقلـة بـــدم

بقصيدته « نهج البردة » :

ريم على القاع بين البـــان والعلم
احل سفك دمي في الاشهر الحـرم

وعـــارض قصيـــدة ابي الحسن الحصري القيرواني المشهورة :

يـــا ليل الصب متى غـــده
اقيـــام الساعـــة موعده

بقصيدة :

مضنـــاك جفـــاك مرقده
وبكـــاه ورحـــم عـــوده

وقصيدة الحصري هذه عارضها اكثر من اربعين شاعرا بين معلوم ومجهول ، لم يظفر احد منهم بمجاراتها .

والمعارضات في الشعر لم تكن معروفة قبل عصر الانحطاط الذي بدأ بانهيار الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ واستمر حتى ظهور محمد علي وهو ما يسمى بعصر النهضة والانطلاق .

وللشاعر عبدالله الفرج بعض القصائد والمقطوعات الشعرية الركيكة الخالية من الجدية والفائدة ويبدو لنا فيها الشاعر وقد كد قريحته كدا واجهد نفسه اجهادا لا مثيل له . هذه القريحة التي تعودت الانقياد له دومـــا لتعطيه ما يريد نجدها هذه المرة وقد تمردت واستعصت عليه فيحاول يائسا قهرها واذلالها وهي لا تزيده الا عنادا واصرارا . ثم نراها في اخر الامر تستجيب لـــه مرغمة كارهة ، لتعطيه ، ولكن ليس بالقدر الـــذي اعتدناه في جملة اشعاره ، والشاعر في هذه الاشعار او هذه البهلوانيات على اصح تعبير ، يروم شيئا واحدا هو اظهار نفسه بمظهر الشاعر القدير المتسلط علـــى كل ميادين الشعر وبحوره وفنونه وما ينبغي ان يكون من فنونه وان بامكانه نظم قصيدة مهملة الحروف واخرى معجمة ، وثالثة بانواع البديع الى غير ذلك ، ومن هذه القصائد هذه المهملة :

احمد الله عد مـــا حاول وســام
واحدا رام العــلا دوم وســـام
احمده واوحـــده دوم عـــــدد
مـــا دعـــاه لحـام اولاد ســـام

الى اخره ، والقصيدة تبلغ اربعة وثلاثين بيتا ، امـــا معجمة الحروف فموال « من الروض » وهي :

التـــاء تبينت بنت غيبتني بنت
تفتن بـــزي يجنن جننتني بنـــت
تبينت بـــين تنتـــين بنت
تقفني في جفن ظبي غضيض شفت
تجنيت خيبت ظني بنتـــة شفت
تلفت بزي جنبني زي جنبـــة شفت
يبيت في عـــين شـــين شيبتني بنت

واما قصيدته التي شحنها بانواع البديع حتى اثقلهـــا واملها فهي :

الحال رهن العنـــا والقلب اسر الهم
والعين لا في الليالي تنـــام والايـــام
يـــا نايح نح عسى غشى يعم يغم
عنى غنى بزوم بزوم ســـام شـــام
يا صـــاح فوض لمولاك الامر والحكم
ان حـــام عسرك ترى الايام ما تنضام
لا تكترث او تخـــاف الضيم او تهتم
لو كـــان روحك سباهـــا البارق البسام
ملكت ومـــا ظنتي تنظـــام وتكلم
مـــا ظن بالعون من من وعلا ينظـــام
راعك كلام العدو اللي شنـــاه الـذم
لو قال تنظام كذاب واشر نمـــــام
كل لـــك يقول لو في هب به من نم
سلب بلس عند دنع مـــا شنا يتشام
ما نم صخل يعوم وجاهله بعـــدم
مدعيـــه لهـاج رموعي الخصم ذام
لو ذاك بـــه خي سر نفسه نعم وانعم
بالنعمـــة اللي نظرها الخاص وبا العام

هذه القصائد ونظائرها يعمد اليها بعض الشعراء ويجهدون انفسهم بها لا لشيء سوى البهلوة . وعلى كل حال فشاعرنا الفرج قطب من اقطاب الشعر العامي وعلم من اعلام الفن والموسيقى .

■■■■

---

(١) يثي : يحرش

(٢) صل : نوع من الافاعي السامة

(٣) المتطي : عند العامة المطوه غبقا ، وفي اللغة العربية المريض

(٤) يقط : يخلع ثيابه

(٥) حبابة : امراة من اسرة الصباح

(٦) نيابة : النباب سجن معروف في الكويت ، وقد سمي بهـــذا الاسم لان السجناء يحبون فيه حبيا لشدة الظلام .



الكويت

كما يصورها فيلسوف الفريكة أمين الريحاني في رحلته الى الجزيرة العربية

••••

القسم الثاني والأخير .

••••

في صبيحة اليوم التالي اشرف الريحاني من رواق القصر على مشهد من مشاهد العمل في الكويت ، ففي ساحته الفسيحة المرتكز بها العلم الاحمر وقد كتب عليه « الكويت » تجد دوما عددا من الناس جالسين على الارض حول شراع مبسوط ، وغالبا تجد ثلاثة او اربعة اشرعة كبيرة والى كل منها عشرة ونيف من النوتيين يشتغلون فيها ، يخيطون جديدا او يصلحون قديما منها، هوذا معمل الشراع الذي يعيش في ظله اكثر ابناء الكويت .

ودون الساحة سرح الريحاني نظره فرأى السفن والادقال وقد اكتظ وتشابك بعضها ببعض ، وفيها العمال يصلحون قديما او يبنون سفينة جديدة وهناك مصنع السفن التي تبحر في الخليج وتوصل حبل التجارة بين الهند والعراق وبين الاساكل العربية والفارسية فترسو حيث لا تستطيع المراكب التجارية ان تحمل الصادرات والواردات من شاطىء الى اخر بأجور لا يستطيع البخار ان يجاري الشراع بها . ان سفن الكويت ومراكبها مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعها وهي على انواع منها للعبور والتنزه ، ومنها للحمولة ومنها للغوص . الكبيرة مثل « البوم » و « الجلبوت » تصنع بالخشب المقلفط المطلي بالقار ، ثم تغشى بالواح من الساج وتنقش عرشتها من الخارج نقشا انيقا لطيفا . اما « البوم » التي تدعى اليوم « البغلة » فهي اكبر السفن واجملها وابعدها ابحارا ، فلا يقل طولها عن الثلاثين ذراعا وعرضها الاعلى يتراوح بين الثمانية والعشرة الاذرع ، ومحمولها مئتا طن ، وهي تصل في اسفارها حتى جزر مدغشقر وزنجبار . بيد ان السفن والمراكب التي رآها الريحاني في الكويت تستخدم لاستخراج اللؤلؤ في موسم الغوص ، وللتجارة بين الهند والعراق ، فتخرج من الكويت غالبا « فارغة » وتعود ملأى اليها . ذلك لان الكويت مدينة من مدن اللؤلؤ على الخليج ، وقلما يقرن اللؤلؤ بمصدر اخر من مصادر الثروة . هذا مالها تشتري به ما يلزمها من ضرورات المعيشة ونوافلها . وليس في بر الكويت غير الفالي ، وليس فيها او في جوارها شيء يذكر من النخيل ، فهي تضطر لان تجلب التمر من البصرة او من القطيف . ولكن عندها اللؤلؤ الذي تزيد قيمته على قيمة ما تحتاج اليه من ماكول وملبوس ، فتشتري

البدوي الملثم (عمان)

بالزيادة للاتجار ، وعندها السفن تحل الى تجارها ما يشاؤون من البنادر القصية ، فضلا عن البواخر التي تجيئهم بالاحمال الكبيرة من الهند وسواها .

راى الريحاني في الكويت مدينة تجارية مثل جيزان او ميدى على البحر الاحمر ، وان كانت تزيد عليهما في عدد السكان عشرة اضعاف ، اذ لا تقوم تجارتها وتنمو بمن فيها فقط ، فلو اتكلت الكويت على سكانها وعلى العشائر في باديتها لما كانت تجارتها ربع ما هي او بالحري ربع ما كانت منذ سنتين ، وحسن حال الكويت وسوؤها ، في ذلك الزمان يوم زارها الفيلسوف الريحاني يعتمد على « المسابلة » ولاكفيك مؤونة التفتيش في المعجم عن هذه الكلمة ، فقد لا تجدها فيه ، فالمسابلة هي ان يجيء العرب الى المدينة فيسابلون تجارها اي يشترون منهم نسيئة ما يحتاجون اليه من ملبوس ومأكول ، وغالبا يجيئون في الصيف فيشترون ما يلزمهم في فصل الشتاء كله ، ويدفعون ثمنه بعد ان «يصلحوا» مواشيهم اي ان يربعوها ويستثمروها في اواخر الربيع . اما اكثر من يجيئون الى الكويت للمسابلة فهم من نجد ، يجيئونها ويفضلونها على البصرة والزبير لاسباب ثلاثة :

<u>اولا</u> : لانها اقرب ،

<u>ثانيا</u> : لانهم يجدون في اسواقها دائما ما يحتاجون اليه ،

<u>ثالثا</u> : لان تجارهم يتساهلون معهم فلا يتقاضونهم دفع ما عليهم ولو مر على الدين سنتان وثلاث وهم مع ذلك ، قلما يخسرون .

اية ضمانة يقدمها البدوي للتاجر ؟ قسمه بالله ، فهو اذا غاب عشر سنين وعاد الى الكويت ، وليس معه غير جمله ، يجيء به الى التاجر ، قائلا : « هذا حلالك » واذا مات البدوي قبل ان يفي ما عليه ، وكان قد نما ماله اي مواشيه ، يجيء احد ابنائه او انسبائه بما يكفي منها لتسديد الدين او بعضه ، فيقدمه للتاجر قائلا : « هذا حلالك من فلان ، ترحم عليه ! » .

ان رغبة تجار الكويت في « المسابلة » اذن لمثل رغبة اهل نجد بل اشد ، لان عرب نجد هم مصدر تجارتهم الاهم ، وهم يستطيعون ان يتساهلوا بدفع المال اكثر من سواهم لان راسمالهم اكبر ، بسبب مدخول الكويت الاخر من تجارة اللؤلؤ .

اشرنا فيما سبق الى ان الرحالة الريحاني عندما بلغ الكويت اصابه سوء هضم من بندورتها ، فلم يبرح فراشه فاستدعى صديقه السيد يوسف جلبي طبيبا لبنانيا اسمه امين ريحان ، جاء في معية السردار اقدس الشيخ خزعل خان ، امير نويان وسردار عربستان ومؤلف كتاب « الرياض الخزعلية في السياسة الانسانية » للاشتاء في الكويت ، فطرب الريحاني لهذه المصادفة وقرر لقاء الشيخ خزعل في قصره الذي شيده في الكويت ، ولهذا القصر قصة طريفة نلخصها بالكلمات التالية :

« كان الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل صديقين حميمين ، يتزاوران دائما ، فتوفقا الى فكرة جميلة يخلدان بها تلك الصداقة الجميلة ، فبنى الشيخ خزعل للشيخ مبارك قصرا في المحمرة ، وبنى الشيخ مبارك للشيخ خزعل قصرا في الكويت ولكنه كان الى جانب قصر الشيخ مبارك في عاصمة امارته فبنى بعدئذ الشيخ خزعل قصرا خارج السور يقيم فيه بعض اشهر الشتاء .



كتب السائح الريحاني الى سمو الشيخ خزعل خان من قصر الضيافة في الكويت كتابا يستأذنه بزيارته لكن القلم وقف في راس الصفحة البيضاء جامحا وراح فيلسوفنا يسائل نفسه : كيف احيي هذا الامير وهو كثير الالقاب والرتب والاوسمة ؟ بل كيف احيي من يتحدث الناس من عرب وعجم وافرنج عن مكارم اخلاقه وغرر اياديه ؟ هل احذو حذو الادباء فانظم الاسجاع في من كرمه كالمسك ضواع ، ومتفق عليه بالاجماع ؟ قد يظنها قصيدة مدح مني فيعاملني بما يوحيه شرع المحمرة ، لذلك طرحت الرسميات جانبا وكتبت الى الشيخ خزعل كلمة سلام مقرونة بالاجلال والاكرام ، فجاءه منه الجواب التالي :

« اسعد الله اوقاتك .

ايها الفيلسوف المكرم ، حياك الله وابقاك ، وحفظك ونجاك ، واني مشتاق الى لقياك ، فيجب ان ازورك قبل ان تزورني لان لكل قادم حق الزيارة وقد سبقتني بالجميل في كتابك الكريم ، فأشكر ذلك الذوق السليم ، واني صباحا ان شاء الله ازورك في « محل الجميع » واحظى بنور تلك الطلعة ، واختم كتابي بالدعاء لكم بالتوفيق والسلام عليكم . المحب لكم — خزعل . »

وكان اجتماعهما الاول في « محل الجميع » اي عند سمو الشيخ احمد الجابر الصباح ، في الجناح الجنوبي من القصر ، في الصالة المفروشة بالاثاث الاوروبي ، وبعد المصافحة وجد الريحاني الامير العربي الشيخ خزعلا من طراز الامراء العباسيين ، انه غني حكيم كريم معا ، فهو برمكي في كرمه وفي ذوقه وفي ادبه ، يحب اللهو والغناء حبه الادب والشعر ، بل يميل الى



كل ما فيه شيء من اسباب السرور كلها ، العقلية والاجتماعية والجسدية .

وان كلمة قالها معاوية بن ابي سفيان « الدنيا بحذافيرها ، الخفض والدعة » ، لتصح ان تكون من كلماته » .

وجد الريحاني الشيخ خزعلا صحيح الجسم موفور العافية الا انه بالرغم من وجود طبيبين في معيته ، كان يشكو يومئذ من اسنانه ومن الطبيبين معا . بادر الشيخ خزعل الفيلسوف الريحاني بقوله : « سمعت الناس يشكرون اطباء الاسنان في اميركا ، وقد قال لنا احد افاضل الاميركيين ان اطباء الاسنان هناك وباعة الخيل وسماسرة البورص من طبقة واحدة ، فهل لك ان تشرح لنا هذا الكلام ؟

فأجاب الريحاني : اما باعة الخيل فالمشهور من امرهم انهم مثل ما يبيعون المعاليق في مدينة حماة بسورية فينفخونها قبل ان يزنوها ، اما سماسرة البورص فلهم اسم اخر في اميركا ، فيه اظن الشرح الذي تبغيه ، فهم كما يدعونهم هناك اصحاب الدلو الفارغ ، اي انهم يتاجرون بلا شيء ، بالهواء ، فيبيعون زبائنهم ما لا يملكون من الاسهم وكذلك الزبائن يبيعون ويشترون ، هو ضرب من لعب القمار ، يكثر فيه ما هو محض شر من الاسرار . .

— واين وجه الشبه بينهم وبين طبيب الاسنان ؟

اجاب الريحاني : وجه الشبه في المبدأ يا مولاي ، المبدأ واحد هو الوهم والاحتراف به هو الهواء في المعاليق ، وهو الدلو الفارغ او الهواء في الدلو ، فاذا رحت الى طبيب اسنان تشكو من وجع ضرس واحد يقول لك بعد الفحص انك جبار لانك لا تشكو الا من ضرس واحد ، وان بقية اضراسك في حالة مفجعة ، فيقنعك بما اوتي من علم ان معالجتها كلها لازمة ولو اقتضى ذلك شهرا من العمل ، والا فتمسي بعد اشهر وليس في فمك سن واحدة .

فقال الشيخ خزعل : لقد اخطأ الاميركيون اذن ، فلو كان هذا الرجل عندنا لعددناه من النشالين ، فضحك سمو الشيخ احمد الجابر الصباح وقال : ينشل ما في الفم وما في الكيس معا .

وانتقل شيخ الكويت وامير الاهواز وفيلسوف الفريكة من الاسنان الى التعصب بلية العرب !

فقال الشيخ خزعل : بل بلية العالم ، ولو كان لي ان ارجع بعد الموت الى هذه الارض لما احببت ان يكون ذلك الا عندما تصبح ولا اثر فيها للتعصب الديني !

الانسان اخو الانسان احب ام كره .

■■■■

أبي

شعر المرحوم محمود شوقي الأيوبي

بتاريخ ٢٣ مارس من هذا العام أسكتت يد المنون صوتاً طالما انطلق يغني هذه الحياة فرحها وترحها ، خيرها وشرها ، وكان المرحوم محمود شوقي عبد الله الايوبي قد ترك ثروة شعرية ضخمة ، هي تحت أيدينا الان ، وسنعمل على نشرها ما وسعنا العمل ، ليطلع عليها الناس ، ويقرأها الأدباء ، وكنا قد طبعنا للمرحوم في القاهرة أربعة دواوين شعرية هي (الموازين) و (هاتف من الصحراء) و (الاشواق) و (الحان الثورة) الذي اخترنا منه هذه القصيدة ونأمل ان نقوم بطبع هذا الديوان قريباً ان شاء الله تعالى ، ثم نعمل على ترتيب الثروة الشعرية العظيمة التي تركها المرحوم لنقوم بطبعها تباعا في دواوين ، كتلك التي تم طبعها والله الموفق ..

عبد الله زكريا الانصاري

أبي اللوحة النضرة العالية ... لنا افرع في الحمى ناميه
أبي للكويت وفي روحه ... شعاع من الاعصر الخاليه
شعاع من العرب السالفين ... يلألىء في الأنفس الساميه
هفا راجعاً للمقر القديم ... وحط الرحال على الرابيه
فقحطان جدي أبو والدي ... وعدنان جدي أبو أميه
ودار العروبة داري وقد ... وهبت العروبة أفكاريه
ودين محمد ديني الذي ... به أحمد الأجرح الداميه
أسير على هديه راشداً ... واعتز شكراً باسلاميه
وللعرب عندي المكان الرفيع ... وكل الأعارب اخوانيه
فليس يفرقنا مذهب ... اذا ما أتت فتنة باغيه
وليس لآفاقنا موبق ... بنته أيادي الردى الطاغيه
بلاد العروبة مجموعة ... بها أنفس للعلا ساريه
تغذ المسير ولا تلتوي ... لتبعث أمجادها الغاليه
أبي كان في الكادحين الألى ... مشوا في ليالي الردى الداجيه
سأكدح حتى ينال الحمى ... أمانيه حرا بلا غاشيه

من ديوان الحان الثورة
(تحت الطبع)

ثمن الوفاء

(احداث هذه القصة من واقع الحياة جرت عام ١٩٤٦ في مدينة قريبة)
— الكاتب —



... دنت منه حتى كاد جسدها يلامس جسده وقالت :

— قبلني ..!

قال : استغفر الله !! ترفقي بي يا سيدتي ولا تعذبيني ، ما تعودت ان اقترف اثما !

قالت : لماذا ؟ الم اعجبك ؟ ! اقي محاسني نقص لا يستهويك ؟ الست جميلة ؟ ! ..

قال : انك وربي آية في الجمال، ولكن لا تحاولي مستحيلا مهما كلفني ذلك من ثمن فلن يقترب وجهي من وجهك ..

قالت : يا لــك من احمق ! اضع نفسي بين يديك بمثل هــذه البساطة وتعاملني بكل هذا الجفاء وهذه القسوة ؟

قـال : سيدتي ! ارجوك ان تنبذي اغراء الشيطان وتتركي مثل هذا الحديث ولا تلحي علي بما لا طاقة لي به ، وان رغبت فخلي سبيلي اخرج تاركا عملي دون ان ارتكب ابشع اثم اتصوره امامي .

قصة بقلم

فرحان راشد الفرحان

ثم خلفها واقفة في مكانها وانصرف ، فدنت هي من المرآة وتفرست في ملامحها مليا فلم تجد في محاسنها شيئا لا يصرخ بالفتنة ، ثم جلست على المقعد وقد حارت في محاجرها دمعة ساخنة .

يا لها من تعسة !! ايذلها الحب وينزل بها الى هذا المستوى من الضعف والخضوع والانكسار ؟ انها تتمتع بكل ما يمت الى الثراء من السعادة بصلة ، فوالدها من اصحاب الارصدة الضخمة في البنوك ، وكل ما تشتهيه نفسهاويطيب لها تستطيع الحصول عليه باشارة منها ، ولكنها لا تستطيع امتلاك هذا القلب القاسي ولا تحظى منه بلمحة عطف او حنان.

اي شيء هذه القوة العظمى التي سدت امام عينيها السبل !! هذه القوة التي اسمها الحب ، الحب الذي نشأ في قلبها لا لشاب في مستواها ومنزلتها في المجتمع وانما لخادم في منزلها زمامه في يدها ، باشارة منها تستطيع طرده ، ولكن لم لم يكن زمام قلبه في يدها تجتذبه باشارة منها كما تستطيع طرده ؟ ! انها تحس نحوه بحب عنيف جارف، وتتخيله امام عينيها ارفع من اي شخص اخر ، لقد ملك حبه عليها مشاعرها واحساسها ولكنها كانت تكبت كل لواعج الوجد والهيام بين حنايا ضلوعها ولم تبح بما يختلج ويعتمل في نفسها لاحد سواه .

انها فتاة في ميعة الصبا ، رائعة الجمال ، وجسمها اكبر من سنها كثيرا ، اما هو فشاب محافظ متعصب للتقاليد في رجعية متطرفة ، ويمتلك ارادة قوية يمسك بواسطتها زمام قلبه عن التهور والانزلاق في مهاوي الشهوات ، رزين هادىء ، لا يفكر بشيء في الحياة سوى ان يعض بالنواجذ على عمله لكي يتمكن من اعالة اهله في دعة وسلام .

لقد امضى والد هذا الشاب قرابة احد عشر عاما في خدمة هذه العائلة وكانت له حكاية . . كان خادما في احدى المصالح ثم طرد منها ظلما بتهمة سرقة اشياء تافهة دبرها له احد العاملين معه ، وظلت هذه التهمة تلاحقه اينما ذهب ، كلما طرق بابا من ابواب العمل ، وامضى كذلك ردحا من الزمن وهو يسعى باحثا عن مورد للرزق دون جدوى ، حتى اتى فيه على كل مدخراته ، وباع كل شيء يصلح للبيع ، ثم بدا شبح الجوع يكشر له عن انيابه ، وكلما تذكر زوجته وبناته الثلاث وفتى في الثانية عشرة ، وكلما تذكر الشارع الذي سيستقبله متشردا بعد ان عجز عن سداد اجور المنزل ، ضاقت الدنيا على سعتها امام عينيه ، وشاءت الصدف ـ بعد ان اوصدت امامه المسالك وادركته الحيرة يوما ـ ان تلقيه بالقرب من منزل والد الفتاة ، فتهالك منهوك القوى ليستريح مما الم به من اعياء وتعب بعد بحث مضن عن وسيلة يجد بها لقمة العيش لتلك الافواه المفتوحة بانتظاره في المنزل ، وكانت الدموع حينئذ اقوى من ان توقفها شجاعة وجلد ، وفي نفس اللحظة وقفت سيارة فارهة بجانبه ترجل منها صاحب المنزل وكانما عناية الله ارسلته وقد ملأت قلبه بفيض من الرحمة والشفقة عندما راى ذلك البائس على تلك الحال ، وبعد ان عرف منه عن قصته كل شيء ، تأثر له واعطاه بعض النقود وطلب منه ان يعود اليه في اليوم التالي حتى يتسلم عمله في المنزل ، ومنذ ذلك اليوم قضى الرجل تلك الاعوام الطويلة خادما امينا مخلصا لسيده ذاكرا فضله ، يساعده في عمله اغلب الاحيان ابنه الوحيد ، الى ان لبى نداء ربه فتسلم الابن كل اعباء الوالد من خدمة في منزل المخدوم الى اعالة اهله هو ورعايتهم.

لقد كان الشاب يرى ابنة سيده تتفجر انوثتها كما تتفتح الزهرة يوما بعد يوم ، ولم يكن ينظر الى جمالها الا عرضا ، بل كان ينظر اليها نظرة الشقيق او القريب ، ولكن الذي كان يبهر عينيه ذلك البذخ والاسراف في كل شيء والذي لا يتأتى له هو حتى في الاحلام .

شاء القدر ان تتعلق به الفتاة، وتفاجئه بفيض من حبها العنيف على تلك الصورة ، ولا عجب اذا ما احبته ، فهو وسيم الطلعة ، جذاب في كل شيء ، في سماته واحاديثه وحركاته ، لطيف المعشر ، مرح ، وهو قبل كل ذلك شاب في عنفوان شبابه تخطى الثالثة والعشرين من عمره .

هامت الفتاة به وتهالكت في حبها له فقد رات في شخصه دنيا العاطفة ، فصار شغلها الشاغل ،



لا تفكر في شيء سواه ، تسترق النظر اليه على البعد ، فكلما تبسم تفتحت امام عينيها امال الحياة ، وكلما تكلم احست بوقع كلماته كأنها تيار كهربائي يسري في جسدها ، لقد بدل هذا الحب مجرى حياتها فغير تصرفاتها راسا على عقب ، انها اصبحت ملولة لا تطيق ان تمكث في جلوسها مع احد اكثر من دقائق معدودات ، فهي كثيرة الانطواء على نفسها ، حتى انها اولعت بالعزلة والانفراد ، فاحب اللحظات اليها لحظات الصمت والتفكير ، وكلما كثر تفكيرها زادت هياما وغراما به ، هجرت صويحباتها واعز صديقاتها ، واخذت تشمئز وتنفر حتى من الفسحة والنزهة في سيارتها الفخمة ، واستعاضت باحلامها الكاذبة عن كل متعة ، فجلسة واحدة تقضيها سارحة في عالم الخيال هي كل ما تصبو اليه وتستطيعه .

لم تكن متهورة ولا طائشة قبل ان يغزو الحب قلبها الصغير ، ولكنها كانت تقتل الوقت في شتى انواع اللهو البريء ، واما الان فقد اخذت تقتل الوقت ، كل الوقت ، في وحدتها وشرودها وفي حبها الذي تشعر من جرائه بكل مرارة والم ، فما اقسى هذا الخادم !! انه كلما ابدى تمنعا وتمادى في الجفاء ، تثور ثائرتها ويأخذ منها الحنق مأخذا ، تكاد ان تطرده من المنزل غير انها تفكر وتتذكر ان الم الفراق وحسرته امضى واقسى من الم الصد والتمنع ، لقد تسلل ما ضاق به قلبها الصغير من اعراض الحب الى جسدها الجميل ، وظن والدها انها تعاني الاما تتحملها ولا تريد البوح بها ، حتى لا يقلقوا عليها فاستدعى لها اشهر الاطباء ، ولكن هل يستطيع الاطباء ان يشخصوا هذا الداء فيقولون انه الحب !! كلا فانهم لم يذكروا سوى انها تشتكي فقرا في الدم ، ومنهم من قال انها في حاجة الى الراحة والاستجمام وما الى ذلك من ادواء بعيدة عنها كل البعد بينما هي تضحك في سرها وتسخر من هؤلاء النطاسيين حيث تعرف داءها جيدا وبيد من الدواء ، اما وصفات الاطباء فكان مصيرها الى صندوق القمامة قبل فتحها . ومضت الايام وتلتها الشهور وهي تغالب الامها تنشد النسيان والفكاك من غائلة الهوى فلا تحظى بهما ، وكان الحب يكبر ويتضاعف في كل بسمة او نظرة تجدها منه .

جاء يوم افاقت فيه الفتاة من نومها كالعادة فنادت خادمها غير انها لم تجد له اثرا ، وتريثت قليلا تنتظر، ربما شاغل شغله ، او طارىء اعاقه عن المجيء مبكرا ، وبدات تشعر بالوحشة حيث اعتادت ان تصحو كل صباح على صوته يناديها ، اجل احست بالوحشة عندما لم تشاهده في هذه الساعة فكيف بها لو فارقته طويلا ، انها ستتالم ولا شك . وقدمت لها فطورها ذلك اليوم خادمة اخرى ، وبعد مضي وقت قصير دخل عليها الشقيق الصغير للخادم واخبرها ان اخاه مصاب بحمى خفيفة الزمته الفراش فلم يتمكن من المجيء لمواصلة عمله .

وضعت ما كان في يدها وادنته الى جوارها ثم راحت تلتهمه بالاسئلة كأنما حدث لها مس ، ودست في جيبه مبلغا من النقود .. **وما دامت لم تحظ بقبلة من ذلك الخادم المحبوب ،** فماذا عليها لو اغتنمت الفرصة وهذا هو اخوه بين يديها صورةطبق الاصل ولكنها مصغرة .. **فاطبقت بشفتيها على وجنته بقبلة طويلة اودعتها كل حرارة قلبها وهي تغمض عينيها كأنما تريد ان تحلم بذلك الحبيب الذي حرمها نعيم هذه السعادة الصغيرة التي ستلمسها بشفتيها ،** واخيرا اخبرت الفتى بانها ستزور اخاه لتطمئن عليه .

وتكررت زياراتها له خلال مرضه وكانت تغدق عليه مزيدا من عطفها وحنانها مما جعله يشعر بكثير من الراحة والطمأنينة ويخفف بعضا من وطأة الامه ، وبعد عشرة ايام كاملة تماثل للشفاء وعاد يواصل عمله بجد ونشاط وهو يحمل في نفسه اكبارا للفتاة ، وكم ود من الصميم لو انها سمت بعواطفها وحكمت عقلها وتفكيرها .

دخل عليها حجرتها وقد طلبت منه كأسا من الماء ، وقدمها لها وهم بالخروج من عندها فاعترضت طريقه قائلة :

— مكانك !! لا تذهب .

وضعت الكأس على الطاولة ودنت منه بتؤدة حتى كادت تلتصق به ثم رفعت اليه طرفها الناعس الكسير وقالت :

— الا يزال قلبكَ عليّ ما اعهده من قسوة ام تبدل ؟ .. لقد عدتكَ في منزلك ، وانت مريض تعاني الام جسمك فواسيتك وسليتك فهلا عدتني وانا بقربك اشكو اليك الام قلبي فيك ، الا تواسيني وتعطف علي ؟؟ **ارجوك ضمني اليك وامنحني قبلة ودعني اشعر بالسعادة في حبي بعد كل هذه الالام التي قاسيتها، والعذاب الذي تحملته من اجلك ..**

تراجع بكل هدوء وقال :

— معاذ الله يا سيدتي !! **دعيني اقبل قدميك على ان لا اكون متلبسا بخيانة ، انني لست من اولئك الذئاب الجاحدين حتى اتنكر لوالدك فاعبث في شرفه متلصصا وهو الذي انتشل ابي من هوة عميقة وحفظ لنا كرامتنا وصان اهلنا وجعلنا نامن عليهم من التسول والفقر ،** ان والدك هو الرجل الوحيد من ابناء هذه المدينة الذي مسح دموعنا بعطفه ورجولته في وقت كنا فيه اقرب ما نكون الى الاستجداء على قارعة الطريق ، **فهل تريدين مني ان الطخ شرفه والوثه بالغدر والخيانة ، وهو الذي صان بفضله لتسائنا الشرف ؟** وانه والله فخر لي ان يفهم الناس انني شربت كاسا من السم على انني انتهكت شرف من سترني . كلا يا انستي حاشا لله ان امسك!! فوالله لو **مسنك شفتي بغدر لما توانيت عن تقطيعها** ، ان الدين الذي الذي في عنقي لابيك يطالبني بالوفاء ، وساقي ما دمت على قيد الحياة .. **اتظنين انني لا احبك ؟ قسما بالله انك تسكنين حنايا قلبي ، ولكن عاطفتي نحوك اسمى من ان تنحط الى حضيض الشهوات .. وان عاطفتي فوق مستوى العواطف التي تخفي وراءها نزوات الطيش والتهور . سيدتي !! ان اقصى ما انشده واستطيعه من الحب هو ان اقول لك يا شقيقتي ..** اما اندفاعك في طلب هذه النزوة الوقتية والشهوة الجامحة فقد فاتك ان تفكري ماذا سيترتب على ذلك من العواقب الوخيمة ، ان دماء الشباب التي تتدفق في جسدك هي التي تدفعك الى عدم التروي والتفكير .

كوني على يقين بانك لن تجدي بي ذلك الانسان الذي ياكل لحم اخيه .. فلن اوافقك على ان اكتم انفاس ضميري **ولن اسير معك في طريق شائك يمرغني في الوحل ، ولا تظني ان هذا جفاء مني وقسوة !! ولكنها الحقيقة ..**

اغرورقت عينا الفتاة بالدموع ونطقت شفتاها المرتعشتان تقول :

— ثق بشرفي ما اردتك لنزوة ! وان مداركي وعقلي لن يسمحا بان يجرفني تيار آثم ، ولكن انت لا تدري مقدار ما اهواك وما اعاني من اجلك ، وان سعادتي التي احلم بها هي انت لا المال ولا الجاه اللذان ارفل فيهما ، فقلبي عندي اعظم واكبر في الحب من زخارف الحياة ، **انني احبك حب عبادة ، ان شيئا ربطني اليك لن يقطعه سوى الموت ولو من جهتي وحدي، لقد قدر لي ان ابتلي بحبك.. الا تجدني اتعذب ، الا تراني اشقى واتالم وكانني خلقت لذلك ..** لن اصدقك لو قلت لا تدري ، ان كل ذلك من اجلك ، فحنانيك ، شيئا من الرافة والعطف ، فوالله ما افصحت لك عن مكنون قلبي وما تهالكت عليك اراودك ، حاشا لله ، وانما اريدك ان ترعاني بشيء يبعث في نفسي الامل ، اريدك زوجا الى الابد ، **سانزل من هذا البرج العاجي الى كوخك انه عندي هو السعادة ما دمت بجوارك، ساصارح والدي وسيفهما مني انني بدونك جثة ، وبدونك لن اعيش ، وان لم يحققا لي ما اريد فسافر معك وان لم ترض فسافر من الدنيا الى الابد . .**

فتح عينيه دهشة وغرابة ثم قال :

— لا شك انكِ جننت !! ما هذا الهراء يا سيدتي؟ من اي شيء ستفرين والى اين ؟ تاكدي ان ضميري لن يفسد ولن اخون ، ومحال ان انساق معك في مثل هذا الطريق المزري ، ولكن !! ماذا تقولين انت وعن اي شيء تتحدثين ؟ كانك محمومة تهرف بما لا تعرف وتهذي ، انسيت انني خادمك ووالدك ولي نعمتي ، ما ابعد الشقة بيني وبينك ، انت مني كالسماء بعيدة عن الارض ، انت السيدة وانا الخادم ، انت الغنية وانا المعدم ، انت السعادة وانا الشقاء ، فكيف بالله عليك تتفق كل هذه المتناقضات ؟ وان سلمنا جدلا وفرضنا انها اتفقت فهل فاتك ان السنة الناس الحداد ستضع والدك في موقف لا يحسد عليه من الهراء والسخرية ، ووالدك الوجيه الثري الكبير لن يرضى بان تخدش كرامته ، ثوبي الى رشدك وافتحي عينيك جيدا،ان هذا الحب قد جاء في غير مكانه وتركه اجدى وانفع ولو كان ذلك مؤلما .

كانا غارمين في محاضرة طويلة ولم يدر في خلدهما ان الخادمة من وراء الشباك تسترق السمع لكل ما كان يدور بينهما ، وقد تسمرت قدماها في مكانهما عندما شاهدها سيدها على تلك الحال وهو قادم من الخارج ، وحاول الخادم ان يخرج من الحجرة عندما سمع سيده وهو يستجوب الخادمة عن اسباب تلصصها فلم يتمكن حيث دخل السيد يجر وراءه الخادمة من يدها وهو يكرر استجوابه وهي في حالة يرثى لها من التلعثم ، اما الفتاة والخادم فقد جمد الدم في عروقهما وتسمرا في مكانهما من المفاجاة ، وحاولت الخادمة ان تراوغ وتتهرب من الاجابة عندما رات سيدتها كالتمثال الجامد بدات الروح تدب فيه فقالت وهي تتنحب انها سمعتهما يتحدثان فقط ، ولم يقتنع الرجل بهذه الاجابة المقتضبة فشدد في وعيده والحاحه فما كان من الخادمة الا ان قالت بعد ان تملكتها شدة الخوف والفزع لعلها تتخلص من موقفها هذا :

— **كانا يتحدثان عن الحب ..**

وطاشت رواجح عقل الرجل لهذه الاجابة فلم يتمالك نفسه او يترو حتى يستدرج الجميع لمعرفة الحقيقة بل كال للخادم لطمة القته على الارض وهو يصب عليه الشتائم ويتوعده ان اقترب من المنزل ، اما الخادم فلم يجب بغير دموع تحدرت



على وجنتيه وهو يتراجع خارجا يجر قدميه .

منظر عصر قلب الفتاة وافقدها رزانتها ، وبقوة خفية هتفت من اعماقها :

— ابي !! لا ذنب لهذا المسكين ابدا ، **انه لك اوفى مني ، الذنب ذنبي انا وحدي ، انا التي استحق الجزاء ،** .. تكلمي ايتها اللصة ماذا كان يقول ..

وصفعها والدها هي الاخرى لتقع على السرير وهو يردد :

— **ليتك لم تكوني ...**

خرج الى حجرته وبعد ان هدأت ثائرته ارسل في طلب زوجته حيث كانت تقتل الوقت عند جارتها . ولما جاءت اخبرها الرجل بما حدث وراح يوبخها على تماديها في الغفلة عما يحدث داخل المنزل ، وما كان منها الا ان نادت الخادمة لتستطلع منها الخبر ، فاخذت هذه بدورها تقص عليها الحديث مفصلا كما سمعته ، فما كان من الرجل الا ان ندم على تسرعه بمعاملة الخادم على تلك الصورة من القسوة والغلظة .

مضت ايام قلائل درج خلالها هذا الحادث الى النسيان ، فجاءت الفتاة الى والدتها واسرت لها بكل دخيلتها ، واخبرتها بكل صراحة ووضوح بانها اصبحت تنظر الى هذا الانسان بعد ان عاملوه بمثل تلك القسوة جزاء امانته واخلاصه نظرة اكبار لا تعادلها نظرة ، وانها عقدت العزم — مهما كانت الظروف — ان تقترن به ، وان لم يتهيأ لها ذلك فامامها طريقان شائكان كلاهما فيه وصمة عار وفضيحة وستتخذ احدهما حتما فاما الانتحار او الفرار .. ثم اردفت :

— **انه حقا فقير ، وفقير معدم وخادم ، ولكنه غني !! اجل غني بعزة نفسه ، وسيد بنبل عاطفته وطهارة قلبه ووفائه واخلاصه ، وما يبتغي الانسان ويرجو اكثر من هذا ؟ هذه الخصال كفيلة بان تدفعني لاختياره لنفسي دون اولئك الشبان الموسرين الذين يخطبون ودي ولن ارضى به بديلا ..**

لم تعهد الوالدة من فتاتها مثل هذه الصراحة من قبل فعنفتها على تهورها وطيشها ، ونصحتها بان تقلع عن مثل هذه الافكار الزرية وان لا تكون انانية حيث ان الفارق بينهما ليس بالامر البسيط بل سيكون مدعاة لتندر الناس وسخريتهم ، ومثارا للقيل والقال عليهم جميعا .

حدثت الوالدة زوجها بما دار بينها وبين ابنتها فاستشاط غيظا وهدد وتوعد ، وكانت بعد ذلك ليلة مظلمة حالكة والفتاة في حجرتها تقترب بين كل آونة واخرى من الباب تسترق السمع الى كل حركة تصدر داخل المنزل ، وبعد ان آوى الكل الى فراشه وساد السكون ونامت الاعين الا عينيها ما زالتا ساهرتين تراقبان الساعة ، **وقبل منتصف الليل بوقت قصير حملت بيدها حقيبة صغيرة وتسللت من الحجرة ، ثم اجتازت الباب الخارجي وذهبت مسرعة الى منزل خادمها ، وهناك عاتبها على ما اقدمت عليه من تهور وطيش .**

وما كاد يشرق الصباح حتى بعث الخادم باخيه الى والد الفتاة يحثه على الاسراع في المجيء قبل ان تعلم ابنته بانهم ارسلوا في طلبه فتفر مرة اخرى ، وجاء الرجل وهو اشد ما يكون الما فطمأنه الخادم بقوله:

— هون عليك يا سيدي انها مع شقيقاتي ! انما لي كلمة اريد ان اقولها اريح بها ضميري ، وساصرح لك بقدر ما استطيع من فهم وادراك ولو انني لا اعرف انتقاء الالفاظ .

وبدا من هدوء الرجل انه فعلا يريد ان يصغي ليسمع المزيد ، مما شجع الخادم على مواصلة حديثه :

— قبل كل شيء ارجو ان تتأكد من انني لا اتزلف اليك حتى اعود الى خدمتك فقد قررت عدم العمل في هذه المدينة ، والذي احب ان اقوله هو انك يا سيدي اسديت الى ابي معروفا لا يجحد ولا ينسى ابدا ، فطوق هذا المعروف اعناقنا جميعا ، ولقد عشنا عمرا قضينا جله في خدمتك كنا خلاله عند قسمنا على ان نفي بالاخلاص لك بعض جميلك ، ولا شك انك اخذت فكرة خاطئة سيئة عني في حادثة ذلك اليوم ، وهذا ما يؤلمني ويحز في نفسي ، ولكن اقسم لك انني لم اخنك ، ولم تخطر الخيانة على بالي ، او اتعمد خيانتك ولم اغر فتاتك او اتحايل لتهواني ، ولكنني على العكس كنت اعاتبها ذلك اليوم واصور لها الفارق الكبير بين مكانتي ومكانتها لعلها تستدرك خطأها وتفكر فيما بيننا من فوارق اجتماعية، غير ان محاولاتي لم تنفع في شيء ، كما اقسم لك ان فتاتك طاهرة الذيل ناصعة السريرة لم تقترب مني ولم اقترب منها ولم تمس يد احدنا الاخر، بل ولم تقصد ما يسيء اليها وانما كانت تشرح لي عواطف امتحنت بها.

لقد كان باستطاعتي ان اوافق الفتاة على فرارها انتقاما لما حدث لي ، وقد رايت بعينيك تصميمها ، وانت ادرى بما في ذلك من الفضيحة والعار ، ولكنني لست من اولئك الذين يحملون انفسهم حقدا ويتوسلون

فرصة للانتقام ، ان وفائي لن تبدله الحوادث واخلاصي لن تغيره الظروف بقي يا سيدي ان لا يفوتك ان ابنتك ستتقدم على ما هو اكثر من هذا ، فقد لمست ذلك من حديثها لي ، واعتقد اعتقادا جازما انها مصممة على امر قد لا يسركم ، اذا ما اختتموها بالقسوة ، لهذا ارى ان تحكموا العقل والمنطق وتأخذوا باسلوب بعيد عن العنف والزجر ، حتى ولو كانت هناك امان كاذبة لعلها تنسى على مرور الزمن وتعود الى صوابها ، هذا كل ما اردت ان اقوله ولك يا سيدي ان تأمرني بما تريد وما يعن لك وستجدني — كما كنت سابقا — ذلك الخادم المطيع .

وبعد تفكير قصير في كلمات هذا الخادم الذكي الامين قال الرجل :

— انك يا بني وفي الى ابعد ما يكون الوفاء ! **وثق بانني ندمت كثيرا على اساءتي لك بعد ان انجلت امام عيني الحقائق ، انك كبرت امام عيني الان** ، وانني مقدر لك شهامتك **واخلاصك ، كما انني على استعداد تام لتلبية وقضاء حاجاتك مهما بلغت.**

في حجرتـه في المنزل ، عاتب الرجل ابنته طويلا على ما اقدمت عليه من عمل يسيء الى سمعتهم وكرامتهم ويشحذ الالسنة الطويلة ويطلقها بالسخرية والاستهزاء ، ثم سألها :

— **اي شيء احببت في هذا الانسان؟**

قالت : احببت يا ابت اخلاقه وتمسكه بالفضيلة ، احببت اخلاصه المنقطع النظير لك ! فلو انني بادرت اي انسان مهما كانت صفته **بعاطفتي لتهالك علي ، وسلبني اعز ما املك . ولكن هذا الشاب — ولا اكذبك القول — حاولت معه المستحيل ، ولقد اخذت اخجل من نفسي على تذللي امامه ، غير انه كان يضغط فوق قلبه وعاطفته ، بل واقسم ان يقطع شفتيه لو .شاتك .**

— وكيف تقبلين ان تكوني زوجة لخادمك ؟؟ !

قالت : لان الحب لا يفرق بين السادة والخدم ولا بين العبيد والاحرار .

— هذه فلسفة جديدة !!

— **كلا يا ابت ! انه الواقع الطبيعي الذي نعيش فيه ولكننا نستنكره .**

— وماذا يقول الناس ؟

قالت : الناس كثيرا ما يقولون ولهم في ذلك مذاهب واراء ، ولكن العقلاء منهم سيقولون احبت وضحت وتزوجت وليست الاولى ولن تكون الاخيرة ، ونحن دائما نستمع الى اقوال العقلاء منهم اما الصغار فلا نلتفت الى اقوالهم .

— وماذا بصددي انا ؟

قالت : سيقولون عنك حكيم في تصرفاتك ، لم ترغم فتاتك على شيء لا ترضاه لنفسها ، ولم تحطم قلبها بل اسعدت مخلوقين في حاجة الى السعادة برضاك ولم يدفعك الجشع لانتظار احد الاثرياء تزوجه من ابنتك.

— **الا يهمك ويزعجك ان تكوني زوجة فقير معدم بعد الغنى والجاه!؟**

قالت : يسعدني يا ابي ، ان اكون كذلك واصعد سلم مكانتي الاجتماعية درجة بعد درجة ، وخير لي ان يقول الناس تزوجت فقيرا وهي غنية ولم تأبه للمال ، ذلك اجدى واشرف من ان يقولوا افتقرت وانفض من حولها الخطاب ، ان السعادة التي يفتش عنها الانسان في كل مكان هي ، في القصر ، وفي الكوخ ، وليس معنى السعادة ان يكون الانسان ثريا !! السعادة في كل مكان يظلله الحب ويسوده الوفاق والتفاهم والهدوء ، اما الغنى فهو **غنى النفس والقناعة** ولو كان الفقر وصمة يوصم بها الانسان لانتحر اكثر الناس تخلصا منه ، الملوك يا ابت تخلوا عن عروشهم وركلوها باقدامهم في سبيل السعادة ، والسعادة هي المحبة .

— **وماذا لو حرمتك من هذا الذي تتمنين ؟**

قالت : ستفقدني حتما يا ابي! فليس في مقدوري ان اعيش جسدا بلا قلب ولا شعور ، ولا عواطف ، كما انه ليس في مقدوري ان اعيش في محيط الحياة ولا اجتلي معانيها ، واي اجراء تتخذه معي فانا راضية عنك كل الرضى .

قال : لقد عرفت وفهمت كل شيء ، وسافكر في هذا الامر مليا فاذهبي الى حجرتك .

كانت في حجرتها تتقاذفها الافكار والهواجس ، لا تدري على اي شيء سيستقر مصير مستقبلها . وحتى ظهر ذلك اليوم وهي تضرب اخماسا باسداس الى ان افاقت من هواجسها لتجد والدها منتصبا امامها فانتفضت لتقف احتراما ، وكانت ملامح وجهها معبرة ، كانها تستجدي عطف والدها وتتوسل اليه ان يقول اية كلمة تنم عن موافقته ورضاه ولم يتمالك الوالد نفسه امام نظرات التوسل ومسحة الكآبة التي ارتسمت على وجه وحيدته فضمها الى صدره قائلا :

— **تعالي هنا لاباركك ، فان املي في الحياة ان اراك مرحة سعيدة ،** وهذا كل ما يريح ضميري ، **خذي هديتي اليك بهذه المناسبة ، وهذه هدية اخرى لزوجك فاذهبي اليه بخطاب موافقتي على زواجكما .**

لم تتمالك نفسها فتهالكت بين احضان والدها وهي تجهش بالبكاء لعظم فرحتها ، ولا تكاد تصدق ان احلامها وامانيها تحققت بمثل هذه السرعة .. وطبع الوالد قبلة على وجنة وحيدته وفي عينيه دمعة حائرة وفي نفسه سعادة غامرة حيث حقق لفتاته احلامها واعذب امانيها ..

كانت هديتها منه رصيدا ضخما في احد البنوك اما هدية الشاب فقد كانت شيكا كبيرا يكون رأس مال يستطيع العمل به ويكون نفسه بنفسه وفي الخطاب بارك زواجهما وابدى سعادته باجتماع شملهما . ■■■

الصقر الهاوي



لماذا لماذا لم يقف عند حده … ويغمد حسام البطش داخل غمده
ويرتد عن هذا الهجوم الذي به … اذا فاجأ المقدام فت بعضده
فيقلب انس الحي حزنا وحسرة … ويترك في الاحشاء موري زنده
يغير كقطاع الطريق كأنما … له عندنا الدين الذي لم نؤده
الى م وهذا الموت يبدي تحدياً … أما آن للباب هذا المتيد لرشده
الموت حق قد غمطناه بيننا … ليسترجع المغموط منا بجهده
الموت دين عندنا فنفي به … ونخلص منه بالوفاء برده
له كل يوم سطوة الر سطوة … فيرهبنا سيف المنايا بحده
اذا ما سطت يوماً على الحي كفه … فقد نشبت اظفارها بين أسده
كأن له في الحي ثأراً تشابهت … عليه علامات الغريم ووكده
فما زال يفري واحداً بعد واحد … وما انفك يسقي من مناهل ورده
الى ان رمى بالوذعي الذي أتت … اليه القوافي خاطبات لوده
فينظمها عقداً نضيداً تغار من … مباهجه الغيد الحسان ونضده
وكم جاءنا عنه القريض معبراً … فيتحفنا بالدر من مستجده
اذا ما أصاب الجزر منا قرائحاً … أفاض علينا من ينابيع مده
هو الشاعر الفحل الذي كم تألقت … له في سماء المجد أنجم مجده
لقد طار في الآفاق ذكر ابن سالم … فاصبحت الدنيا تفوه بحمده
ولكنه سرعان ما انهد صرحه … وأخلفه هذا الزمان بوعده
فاصبح في سجن وسجانه العمى … ومرصده الفقر المجد بحقده
وقاطع اصحاباً له واقاربا … وأبدل وصل الاقربين بصده

شعر : عبدالله سنان

بمناسبة الذكرى الثالثة لوفاة المرحوم شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب المتوفى في الشهر الثامن من عام ١٩٦٣ .

ولم يرض من أصحابه قط واحداً	أيرضاهم من فر عنهم بجلده
ومات وحيداً بين جدران داره	وقد عفرت بالترب صفحة خده

*****

لقد مات « صقر » فارتمت حول وكره	صقور تنادي من لنا بعد بعده
رزئنا به حتى كأن قلوبنا	طيور تهاوى خافقات لفقده
وشيع جثمان الفقيد ثلاثة	خويدمه والجار صاحب رفده
وخل قديم صادق في ولائه	يشد به ازراً ليالي سهده
ووسده يمناه في اللحد جاره	وهالوا عليه الترب ساعة سده
بكته القوافي الغر يوم فقدته	الى اليوم لم تبرح وفاء لعهده
وباتت بنات الفكر يندبن حوله	وهن مدى السبعين داخل برده
وقد كسدت للشعر سوق عكاظه	ولما يزل يبكي ليالي سعده
وقد اقفرت ساحاته وتعطلت	ميادينه واعتل ناظم عقده
وأسكت هذا العندليب فاصبحت	تساقط فوق الأرض أوراق ملده

*****

ابيك رهين المحبسين كثيبة	تفوق على شيح الغوير ورنده
اليك أزف اليوم أطيب باقة	تئن من الحزن الممض وحشده
ألابك ربي عن حياة قضيتها	تعاني رزاياها بجنات خلده
فيا رحمة الله اسكبي فوق قبره	شآبيب غفران وفي قاع لحده

*****

بين توماس مان

هيئة التحرير

لو قدر ان يتربع اثنان على قمة الادب الالماني خلال النصف الاول من هذا القرن ، لما وجد المرء سوى « توماس مان » و « بريتولت بريخت » ،وان كان الاتجاه الادبي والرؤى التي لاحت لكل منهما تختلف عنها لدى الاخر .

وفي محاضرة حول اوجه الشبه والاختلاف بين بريخت ومان ، القاها مؤخرا في وارسو الدكتور في الادب الالماني غونتر هارتونغ ، قال : ان ليس في تاريخ الادب المعاصر، في اي بلد اوروبي ، مثل هاتين القمتين المتقابلتين والمتضادتين ايضا .

لقد هرب الاثنان من وجه النازية الى الخارج ، واصبحا في العالم الادبي ممثلين لالمانيا الاخرى ، كما ان من ابرز وجوه الشبه بينهما تلك النظرة المشتركة للمستقبل ، والمعاكسة اطلاقا لنظرة البرجوازية القائمة آنذاك في المانيا .

راى توماس مان المستقبل من خلال نظرة الفنان الذي اصر على ان يقف بثبات الى جانب روح البرجوازية ، وكانت كما وصفها هو نفسه « نظرة من على جبل نبيو مرة اخرى » ، ونبيو هو الجبل الذي وقف عليه موسى فراى الارض التى ماكان له ان يصل اليها .

اما بريخت ، في الجهة الاخرى ، فقد وقف على تربة الارض الجديدة، جسدها ، وعبر عنها ، فبات جزءا منها ... ولتكمل الصورة يمكن ان نقول انه عبر الجبل الذي وقف عليه توماس مان .

هذا الفرق بين الاديبين قرره وحدد اتجاهه ومداه الموقف التاريخي والاجتماعي والسياسي لكل منهما، كما قرره الاسلوب الذي تميز به احدهما عن الاخر في التعبير والكشف .

لقد استخدم غونتر هارتونغ الكثير من الشواهد والمواد من المخلفات والرسائل الشخصية والقصص والروايات والشعر والمسرحيات ، ليدعم وجهة نظره في محاولته تحليل شخصية كل منهما على ضوء آراء الاخر فيه . وانه لجدير بالملاحظة ان العلاقات بين الرجلين — على الصعيد الشخصي — ظلت حتى النهاية تتميز بنوع من النفور وعدم الرضى .

بين عامي ١٩٢٢ — ٩٢٤، وجد توماس مان نفسه في ظروف ضائقة صعبة ، وذلك خلال فترة التضخم المالي الذي اجتاح اوروبا فكتب عدة مقالات ادبية سماها « رسائل المانية»

وبرتولت بريخت

في مجلة « ديـال » الاميركيـة وفي الرسائل تلك ناقش الى جانب الامور الاخرى ، نتاج برتولـت بريخـت « قرقعة في الليل » .

في رأيه ان مـا يكتبه بريخت مليء بالانفعال و « الوقفات » الحـادة والعنف في التعبير وفي الصورة ،وان المسرحيات تدل على قوة المؤلف — بريخت — وعلى موهبته غير المشذبة التي هي اقرب الى مدرسة ما بعـد التعبيريين والطبيعيين .

لم تكن هذه الموهبة الناشئة لتمثل بالنسبة اليه شيئا ذا قيمة ، انهـا بالنسبة لمان ليست اكثر من تعبير عن حقد الروح الراديكالي ، وعـن مذهب البروليتاريا .

لقد حرر توماس مـان نفسـه في الاخير من ضيق حد المحافظين فـي الادب الالماني ، فامتد عالمه الفكري فجأة الى السياسة والى النظريـات الاجتماعية .

اراد المواطن البرجوازي ان يأخذ لنفسه بعض عناصـر الثورة لكـي يجعل من الثورة نفسها حدثا تافهـا لا لزوم له ولا فائدة منه ، فتركـزت آماله حول فكرة المانيا «التوسطية»، ورأى في ذهنـــه ان القدر ، والتاريخ ، قد اختـــارا لالمانيـا هذا الدور في اوروبـــا على مر العصور بين الشرق والغرب ، وبين الروح والعـــقل ، بين الثقافـــة والسياســـة ، ومـــن ثم بـين الديمقراطية واللاديموقراطية .

ووضع توماس حصيلة كل هـذه الامال والاماني في كتابـه « جبـل السحر » نفى فيه بسخرية لاذعة كل القديم الذي حملته رعـود الحـرب العالمية الاولى بكـل مـا فيه مـن مضاعفات وعقد تركت اثرها في كل نتاج ادبي تقريبا خلال العشرينـات والثلاثينات من هذا القرن .

كيف انعكست كل تلك المواقـف والرؤى سياسيـا ، او في الواقـع السياسي ، فذلك امر لم يكن التكهن به او حتى معرفته ، تماما كما لم يكن ممكنا تقدير حجم التغيرات الطارئـة على البناء الروحي والنفسي لانسان ما بعد الحـرب ، وفي ابان ذاك الجيشان ، والقلق الكبير .

في العام ١٩٢٠ حضـر برتولـت بريخت قراءات لمان من كتابه « جبل السحر » وكتب عدة مقالات حولهـا في صحيفـة « ارادة الشعب — فولكسفيلـين » التي تصـدر في اوغسبورغ ، وتناول اسلوب مـان الساخر في تلك الرواية البرجوازيـة المكرسة .

منذ البداية يحس المرء ان بريخت اراد ان يفعل شيئا اكثر من ان يمثل الوضع الذي وجد الضمير البرجوازي نفسه فيه آنذاك ، لم يشأ ان يصلح الوضع من الداخل ، بـل اراد ان يفك مفصلاته كلية من الخارج ، اراد ان يهدم الوضع بكامله .

بريخت نفسه لم يبدأ كتابة القصص القصيرة والروايات الا في اوائـل الثلاثينات . في روايته « ثلاثـة قـروش »، اراد — كمـا فعـل في مسرحياتـه — ان يمثل الواقـع ويعرضه كما كان يجب ان يعرض ، لو قدر للواقع ان يعبر عن نفسـه بنفسه . في هذا الواقع المركز قدر ان يجعل بناءه الدراماتيكي مرئيا من الخارج .

بين الاديبين تشابه في عدة نواح، اولها انهما هاجرا من المانيا لسبب واحد ، لقد هربا من مـد النازيـة والحكم الدكتاتوري ، ولكن « مان » عمد في البداية الى بث رعبـه ممـا حدث في المانيا الى اوراقه فقط ،وقد يكون هذا هو السبب الـذي دفـع

بريخت الى تناول زميله بعبارات قاسية ، وجارحة في اغانيه واشعاره التي كتبها قبل العام ١٩٣٣ متأثرا بالوضع السياسي .

الا ان كفاح الاديبين المشترك خلال وجودهما في المنفى ، قد سحب على خلافاتهما الماضية ستارة من الفبش فبدت وكانها لم تكن ، وزاد في ذلك وضوح ميل توماس مان الى الافكار والاراء السياسية والاجتماعية ، وهي آراء وافكار كانت واضحة جدا بالنسبة الى بريخت .

قبيل نهاية الحرب بقليل عاد الخلاف بين الرجلين ، والاوساط الادبية تعتبر هذا الخلاف نعمة ، لان مان وبريخت لم يتبادلا الرسائل على طول حياتهما الماضية الا في تلك المناسبة فقط . وكان ذلك يتعلق برئاسة «مجلس المانيا الديموقراطية» وهو منصب عرضه بريخت على مان فرفضه هذا وتولاه فيما بعد « باول تيليش » .

جاء هذا العرض ، وهذا الخلاف بين الاديبين في الوقت الذي كان فيه توماس مان مشغولا بكتابة « دكتور فاوستوس » الذي سجل فيه استسلاما عميقا لان ايمانه بعودة ولادة الديموقراطية مجددا في المانيا وبقيام سلام دائم قد زعزع من الجذور .

مما لا شك فيه ان الاجيال القادمة ستنظر الى الخلاف بين الرجلين كحدث باهت المعالم ، اذا ما قيس او قورن بالاراء والافكار التي جمعت بينهما ، مع مراعاة ان الخلاف قد جاء في وقت كان الادب الالماني ككل يعاني فيه المتناقضات .

القـ

في الأدب تعود

بقلم

وليام دزموند

ترجمة

في اعقاب الحرب العالمية الثانية اجتاحت الاذهان افكار طوباوية ، تحاول ان تضع الاساس لعالم سعيد يؤمن بالاخوة الانسانية وبامكان بناء مجالس وهيئات دولية تحل مكان حكومة عالمية ، بحيث تصبح الحكومات القائمة اشبه بحكومات محلية في المقاطعات . واجتاحت الافكار ايضا صورة قاتمة توحي ان القومية وان التعصب القومي هما في صلب ما حل بالعالم من ويلات وكوارث .

وساعد الادب الجديد لما بعد الحرب ، في اشكاله كافة ، على ترسيخ هذا الاعتقاد ، فالعالم قد سئم الحروب والمآسي ، واصبح اكثر استعدادا من اي وقت مضى في تاريخه ، لتقبل فكرة قيام منظمة الامم المتحدة ، وفي الذهن ان تكون المنظمة الحكومية العالمية المنشودة .

ومع نمو هذا التيار اخذت الحركات الفكرية الناشئة ، والقوية في الوقت نفسه ، تنظر بحذر وشك الى كل حركة قومية صرف ، وتتهم القائمين عليها باليمينية بعد ان انتشر ما يشبه المبدأ المتعارف عليه ان الانغلاق القومي يمينية ، والانفتاح على « اللاقومية » يسارية وتقدمية ، بدعوى ان الانسان قد تجاوز عصر القوميات المزدهرة في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

ولكن ، ها هو العالم بعد عشرين سنة على انتهاء الحرب الكونية ؛

قومية

فضل سالم

يبدو وكأنه يعيش تجربة جديدة هي تجربة نهضة « القومية المتجددة » ، ذلك لان فكرة « القومية المتسامية » ، اي التي لا تعترف بالحدود والروابط والتراث انها من خصائص شعب دون اخر فتميزه عن سواه ، قد غرقت ادبيا وسياسيا في حماة الخلافات بين الشرق والغرب . ونحن حين ندقق النظر فيما حولنا نرى ان المشاعر القومية ، "Nationalism" قد تؤوي عودها بما يمكن ان نسميه الانانية السياسية التي هي المظهر لحوافز القومية في اعمق اعماق الانسان . والدول الناشئة في اسيا وافريقيا تمد خطواتها الاولى على طريق القومية ، وان تباينت درجات « التعصب » القومي ، الا ان هذا التعصب علامة مميزة عن الشعوب التي سبقت في هذا المضمار .

الخلاف المسمى خلافا عقائديا بين الاتحاد السوفييتي والصين ، هو خلاف تجد جذوره في المشاعر القومية لدى كل من الشعبين ، وفي نمو هذه المشاعر ودرجة الاحساس بها مع ازدياد ترسخ المكانة الدولية لكل منهما، وفي المانيا يبدو الشعور القومي في تصاعد مستمر تجاه مشكلة توحيد شطري البلاد ، بشكل خيب ظنون جميع دعاة الـ Supernationalism — القومية المتسامية — وهذا تعبير حاول مبتكروه الاستعاضة به عن لفظة « اللاقومية » .

دعاة الفكر سارعوا بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية الى اعلان موت « القومية » ... عصر القوميات والعصبيات القومية ولى الى غير رجعة ، والفيلسوف الالماني كارل ياسبرز احس في نفسه القدرة على التنبؤ بأن عصر الدولة القومية قد بات من آثار التاريخ ، وعرفت الموسوعة البريطانية « القومية »، كما عرفها توماس مان ، انها نوع من الشعور بالاقاليم او المقاطعات ،وهي الان في طريق الزوال .

بعيدا عن الجانب السياسي نلاحظ ان مهمة غالبية الادباء والكتاب والشعراء والفنانين في العالم قد انصبت في الدرجة الاولى على تلطيخ « صفحة القومية » في الحياة الداخلية والخارجية ، والغاية من ذلك المساهمة في خلق عالم واحد جيد لفترة من الوقت في المنظمات الدولية ومجالس الامم المتحدة التي يمكن ان تطور الى ما يجمع الدول الاوروبية مثلا في « ولايات متحدة اوروبية » . الا انه لم تجر اية محاولة جدية لتوضيح الفروق بين القومية والقومية المتسامية ، فكانت الاخيرة الستارة التي ترعرعت وراءها « القومية المتجددة » ،الحجم والشكل هو الذي تغير لا النوعية ،التعبيرات اللغوية والصور النفسية هي التي تغيرت ولكن ليس المشاعر .

من مهمة الادب الاساسية ، ومن اولى مقومات وجوده ، البحث عن الوجوه الوضاءة في مسيرة الانسان، وفي دفع الانسانية الى معارج جديدة هي اقرب الى المحبة والصفاء والملكوت ، الا ان هناك نقطة لا يجوز لاديب ان يتجاهلها مهما كان ميدان اختصاصه ... لا قيمة لانتاج مهما كان ، ان جاء خارج اطار بيئته ، بكلمات اخرى ، ان جاء غير مرفود بمشاعر قومية تضيء له السبيل .

ورجال الفكر في فترة ما بعد الحرب ، خاصة في اوروبا ، قد فشلوا فيما ظنوه من مهمتهم ، ذلك ان تصور العالم الواحد يرتكز على نظريات مخالفة للتجربة الانسانية .

كل نتاج ادبي يوصف اليوم بالعالمية هو في اساسه ادب قومي صرف بلغ الذروة في التصوير والتعبير ، وعاش تجربة بيئته وانفعالاتها .

هناك تصور اخر خاطىء ، ما يوصف بالادب العالمي ، انما يوصف كذلك ليس لانه يتناول مشكلة من بيئة غريبة بعيدة ، بل لانه يعالج المشكلة المحلية من زاوية اوسع واكثر انفراجا ، فلسفة وتصويرا وتعبيرا .

متهمو القومية يقولون انها كفلسفة حياة شاملة قد غيرت خط سيرها الى الجهة المقابلة ، وخط سيرها الاساسي الاول يقول انه ما دامت الاقوام متباينة النظرة والمصالح والشخصية والتاريخ فانه من المفترض ان تتبادل الاحترام والرعاية فيما بينها ، اي ان تكون اداة سلام .

الرومانسيون يصرون حسب وجهة نظرهم العضوية للتاريخ على ضرورة ان يصل كل شعب الى الاكتفاء الذاتي . ويصور هيردر هذه النظرة بقوله : ان الانسانية مقسمة الى شعوب وأمم كما القيثارة الى اوتار تؤدي لحنا واحدا ان عزف عليها بانسجام وتوافق .

وقد صور الرومانسيون القومية بشكل اخر فقالوا ان الارض هي كحديقة لجميع الشعوب زرعتها

القومية في الأدب

ورعتها يد سماوية ، والانسان الفرد في هذه الحديقة كالزهرة ، والشعوب كالاحواض ، ولكنها ككل ، تشكل الحديقة الجميلة المتناسقة ... وشبه هذا قال الليراليون ـ اصحاب الفكر الحر ـ

واذا كانت القومية قد نهجت بشكل يخالف تصورات الرومانسيين والليبراليين ، فمهمة الكاتب ان يبحث عن السبب الذي ادى بها الى الانحراف ، لا ان ينبذها كما حدث خلال العشرين سنة الماضية ، حتى ان القومية انزلت الى سوق المزايدات السياسية ، واصبحت الشعوب التي هي في اشد الحاجة الى الرابط القومي تتباهى في انها تعمل لاهداف انسانية ، وعالمية ، بينما هي لاهية عن كل ذلك في مشاكلها الاقتصادية المستجدة .

مهمة الاديب اذن ، ان يفضح مستغلي القومية والمتحرفين بها ، وان يصحح الاعوجاج وينقيها من الشوائب ، وان يبحث في وسائل الافادة المجتمعية من الزخم الذي تولده القومية في النفوس .

القومية المتسامية Supernationalism

لم تكن خلال العشرين سنة الماضية ذات فعالية مؤثرة في سير احداث العالم ، بل على العكس ، كانت الضحية ، وان كانت الحرب الباردة قد لعبت الدور الاول في نزع ايمان انسان هذا العصر بامكان الوصول الى الدولة العالمية والسلطة الواحدة ، فان موقف اليسار واليمين من هذا الموضوع كان موقفا رخوا ، مشتتا غير قادر ان يأخذ لنفسه مركزا يمارس منه فعاليته .

لنلق نظرة على احسن الروايات التي ظهرت بعد الحرب حتى الان ، ان في اوروبا او اميركا ، فنجد ان تلك التي تنطلق من مشاعر قومية ، او لتصور هذه المشاعر ، هي الغالبة الى حد يلفت النظر ، والخطيئة التي وقع فيها ذوو القومية المتسامية انهم في دفاعهم عن « القضايا الانسانية » ابتعدوا كثيرا عن واقعهم ومشاكل البيئة واماني « الشعب » فاوجدوا هوة بين واقعهم وواقع الاخرين .

يقول « بيتر كولماس » انه لمن الغرابة بمكان ان البلدان الاوروبية التي عانت اكثر من غيرها من انحراف القومية والحروب الناجمة عن التعصب القومي ، هي نفسها التي تشهد الان ازدهار القومية ، وقد كان يظن انها ابعد ما تكون عنها ؛ الاتحاد السوفييتي مثلا ، والمانيا .

ايين راند ، الكاتبة الاميركية ، سجلت في روايتها « النشيد » ما معناه ان القوة المحركة في الوجود هي المبادهة الفردية ، الشعور الذي يساور الانسان الفرد بكينونته ، وباستقلالية مصيره ، بطل قصتها شخص فقد اسمه في مجتمع «الجميع» وبات يعرف بين الاخرين باسم « المعادلة » ، وفي ذلك المجتمع تعتبر الخطيئة المميتة ان يفكر المرء كفرد مستقل ، ان يفكر بالضمير الفرد للمتكلم .

الفرد هوبس ، يقول في كتابه « عالم واضح الزوايا » إن اضعاف القومية يعني فك الاطار الذي يجمع الصورة ، ان اعظم لوحات العالم فنا وجمالا تفقد قيمتها دون اطار ، كذلك الافكار الانسانية والدعوات الى القومية المتسامية ان لم تنطلق عن ايمان في قومية الانسان .

مهمة الاديب ان يجسد اولا وقبل اي شيء اخر مجتمعه وامته ، وهذا التجسيد نفسه ان بلغ الذروة يكون قد بلغ المرحلة الانسانية .

■■■■

كاظمة

شعر
خليفة الوقيان



ورقاء يا روض الصبا المتضوع صبي الجمال على الخمائل واسجعي
وتنقلي بين الرياض طليقة لا تسكبي دمعاً ولا تتوجعي
لك في الحقول مسارح وملاعب فتلفتي في ساحها وتطلعي
ولك الجداول والغدير مصفق شوقاً اليك الى الهوى فتمتعي
وعلى الغصون الراقصات تخطرى وعلى ذرى عرش الجمال تربعي
فالحقل والروض النضير مرابع لك والرسوم الباليات مرابعي
ودعي الطلول فذاك شأن مسهد مثلي شقي بالدوارس مولع
أبكيت يوماً صرح كاظمة الذي درست معالمه كقفر بلقع
يا ساحة المجد الأثيل ودارة للخالدين وكل فذ مبدع
كم صنت يا درع العروبة قلبها وغدوت في يوم الوغى كالاضلع
ورفعت في « ذات السلاسل » راية خفاقة للمجد لم تتزعزع
فلك القلوب منازل ومرائع بالحب عامرة كنفس المولع
وحديث ذكرك في الوجود قصيدة أزلية من فيض أعذب منبع
نغم على شفة العصور محبب تشدو به الدنيا وان لم تسمع
قد بات مجدك في الزمان مشيدا وحللت في الأيام أعظم موقع
كم شاعر صدح الزمان بنظمه فسما على عرش البيان الارفع
الهمته فشدا وحلق سابحا في الكون من كأس الجمال المترع
مالي أراك كئيبة فكأنما أودى الزمان بذكرك المتضوع
الصمت ران على الطلول فلفها بعد الألى كبهيم ليل مفزع
فكأن جحفل خالد ما حل في « ماء الكواظم » في الهجير الموجع
والخيل والفرسان في صولاتها والبغي في أوكاره لم يصرع
وكأن « غالب » ما أقام متيماً بثراك في الدنيا كأطيب موضع
ان كان ساءك ما ألم فانه قد هز وجداني وحرك أدمعي
اني أراك على الخليج حزينة كسفينة مهجورة لم تقلع

العقل

من

الواضح ان المتضلعين في علم البلاغة ليسوا اكثر طلاقة من غيرهم ، بل ان علماء المنطق ايضا ما كانوا اكثر التزاما بالمنطق من بقية الناس ، ولكن الكليات تستمر بوضع مناهجها استنادا على فرضية انتقال التدريب من الخاص الى العام .

وساد الاعتقاد ان الروح ، رغم طبيعتها الالهية تخضع احيانا لقوى شريرة تدفع الانسان لاقتراف اعمال مفزعة قد تؤدي الى الهلاك ، وكذلك ساد الاعتقاد بان العقل يمكن ان يخضع بقوة التنويم الشريرة ، التي يقوم ببثها شخص اخر يستطيع اجبار ضحيته على ان تفعل اي شيء يريده ، ولكن التنويم كما هو معروف علميا لا يدعم هذه الاوهام الشائعة ، فهو عملية ايحائية فقط . والضعفاء والخائفون ليسوا احسن من الاقوياء والانكياء كوسطاء ، ولا يمكن تنويم المرء دون وعيه ، فعلى الوسيط ان يلعب دورا فعالا في هذه العملية .

وهناك اعتقاد بان العقل كالروح خاضع لعدالة غيبية تتجسم بمبدا التعايش المحبب لقلوب الناس ، والقائل ان لكل عاهة ميزة خارقة تتناسب معها وتوازيها ، وكل تفوق يقابله نقص ويوازيه ، والصامتون هم مفكرون وبعمق ، وللعميان حاسة سادسة ترشدهم ، كما يعتقد ان العباقرة ضعاف العقول اذا خرجوا عن نطاق تخصصهم ، وان الاطفال ذوي النبوغ المبكر ينمون فيصبحون اغبياء او يموتون قبل اوانهم .

ان الاعتقاد الشائع بعم كفاءة النابغ عزاء ، دون شك ، للذين يفتقدون النبوغ وهي طبعا لا تعدو كونها من صنع خيالاتهم . والحقيقة ان الناس الموهوبين في حقل من الحقول لهم مواهب في ميادين اخرى تفوق الاعتياديين على العموم . فاينشتاين كان عازفا على الكمان، وسومرست موم كان رساما بارعا ، وتشرشل كان كاتبا ناجحا وبناء قديرا ، ورساما بارعا ايضا الى جانب كونه سياسيا عظيما ، ويمكن اضافة الكثير من الاسماء الى هذه القائمة .

كون العقل « وحدة مستقلة »هي فرضية اساسية شائعة في علم النفس ، ويعتقد علماء النفس ان العقل هو النتاج الذهني لوظائف عديدة من افعال وانفعالات ورغبات تكيفها جميعا الظروف الاجتماعية ، اما بالنسبة للرجل العادي فالعقل عضو خفي يدير ويوجه الجسم كما يدير الربان السفينة ، ان الزمن والظروف استطاعا اكثر من مرة ان يبدلا قيم البشر واستجاباتهم الى حد لا يمكن وصفه باي شيء سوى التغيير في الطبيعة البشرية ، وهل هناك اسس للطبيعة البشرية غير الخير والشر ، لقد وجدت حضارات عديدة كانت خالية من الحب الرومانتيكي والرغبة في التملك الفردي ، والرغبة في الاعتداء على الاخرين ، ويقال ان الغبطة الناجمة عن القسوة هي جزء من الطبيعة البشرية ولكنها نتاج للعرفوالعادات والتقاليد .

والروح

بقلم شفيق خوري الكرادشه

ليست التربية سوى وسيلة لتنمية الخير في الطبيعة البشرية وان الانسان يستطيع ان يصبح اكثر انسانية عن طريق التربية كما يستطيع ان يكبت غرائزه وحيوانيته ايضا . وقد آمن الناس بان الروح الازلية التي لا يمكن ان تتغير يمكن ان تخضع للنظام ، ولذلك فقد تحمل ملايين المؤمنين شتى الاهانات لكي يصبحوا اكثر تواضعا واكثر التحاما بمعتقداتهم ، كما حاولوا « تقوية » الروح باخضاعها لتمارين اخرى متنوعة ومعقدة ، ولقد انتشر هذا الاعتقاد بين الذين يؤمنون بالعقل ايضا ، فقالوا بترويضه بالدراسة .

فاذا اسند افلاطون رايا ووافقه وردو ويلسون كالمعتقد القائل بانه ليس هناك اي عائق عقلي لا يمكن اصلاحه بالتعليم المناسب ، فمن الصلافة بمكان ان ندعو هذا المعتقد بالخطا الشنيع لسبب بسيط الا وهو ان الملاحظة الموضوعية تدحض ذلك.

فان اي تلميذ جامعي يعلم ان اساتذته ليسوا اكثر تشككا في الامور، ولم يستطع احد ان يثبت وجود معاملات ارتباط سالبة بين القدرات المطلوبة في المجتمع ، وهكذا فقد تبين بطلان الاعتقاد الشائع بان الذين يتعلمون ببطء يحتفظون بالمادة التي تعلموها لمدة اطول .

ولا يدفع ذوو العبقرية ثمن موهبتهم بموتهم المبكر ، لقد استدلوا دائما بموت كيتس وشاترتون وشوبرت وموزارت المبكر وهم « نماذج » للعبقرية ، ولكن حالات هؤلاء كانت شاذة . فان معظم العباقرة تمتعوا بصحة جيدة وعاشوا حياة طويلة تفوق حياة معاصريهم في طولها ، فكيتس توفي بالسل ، وانتحر شاترتون ، وتوفي شوبرت بالتفوئيد وايضا موزارت بالمرض نفسه ، او كما اعتقد البعض بالسم وهذه الاسباب تدل على ان موتهم لم يكن لضعف وراثي .

ولعل اكثر بنود المعتقدات الشعبية قربا من قلوب الناس هي ان المراة اضعف عقليا من الرجل ، وهنا يظهر ايضا مفهوم انعكاس العقل على الروح ، لان ارواح النساء (حسب المعتقدات القديمة) تعتبر من الاصناف الضعيفة ، وكان الشائع ان النساء اضعف من الرجال خلقيا واقل حصافة ويمكن اغراؤهن بسهولة .

ان الثقة الجبارة في مفهوم نقص المراة الفطري لم تعد قابلة للاسناد، ولكن المتعة التي اعطتها لضعف البشرية كانت اعظم من ان يسلم بنقيضها دون صراع ، والتجا الرجل المندحر الى « العلم » واتخذه اليوم من خطوط الدفاع ، ويقال لنا ان ادمغة النساء اصغر حجما ووزنا من ادمغة الرجال وانهن لا يستطعن تحمل اعباء الحياة كما يفعل الرجال .

لقد نشانا ونحن نتوقع سلوكا معينا ولكننا نجد انفسنا فجاة وسط عالم مملوء باشارات لا تتفق مع استجاباتنا التي تعلمناها في الماضي، لقد تعلمنا منذ نعومة اظفارنا ان نكون مضحين رقيقي النفس ، نساعد الجميع ونكره الطمع والعنف ، ولكننا اليوم نعيش في عالم ملؤه الجشع ، والتنافس على المال ، بشكل بشع لا يرحم ، تعلمنا ان نكون شرفاء ولكننا وجدنا انفسنا في عالم يعاقب الاستقامة ويكافيء الزيف والنفاق والتلون بالوف الاشكال .

نحن نندفع الى الامام بطموحنا وامام اعيننا النجاح اذا شددنا عزمنا وقوينا من ارادتنا ، ويجد الفاشلون ان الصدف هي اهم واكثر وزنا من الجدارة ، واللامبالي يسلك طريق اللامبالاة في حياته والمتهكم يحتفظ بشيء من الثبات ، ولكن اللامبالاة ما هي الا حكمة الجنون نفسها ، وما التهكم الا جنون الحكمة وهكذا ففي الحقيقة لم ينج احد .

■■■■

يوسف إدريس

٢

الفرفور يتمرّد

يوما ما سنة ١٩٥٨ استطاع الصول فرحات ان ينسى يأسه من النجمة التي لن يعلقها على كتفه ، والمشاكل التي تحيطه من كل جانب ، والتفاهات التي يحياها كل يوم ، في احد اقسام البوليس بالقاهرة ، والعمر الذي انقضى ، دون ان يفعل او يكسب شيئا ما ذا قيمة .. في هذه اللحظة استطاع فرحات ان يحلم بعالم غريب عليه في هذا الوقت بني اصلا على الصدق والامانة وبحدود تصوراته الطيبة والضيقة معا : « اديني حقي وخد حقك .. انت راخر، العامل اصبح حاجة تانية .. هدوم نضيفة اربع وعشرين قيراط .. عفريته مكوية يروح بها الشغل ييجي بعد الظهر يلبس بدله الإيافة والطربوش النسر والجزمة الاجلسية وقهاوى ايه .. وجناين ايه .. وكرافتات ايه وابهه ايه .. والناس طول النهار ما يبطلوش ضحك .. وبالليل يروحوا السيمات .. والسيمات دى مهمة قوي .في كل شارع سيما وبالامر ، لازم كله كبير وصغير يخش والافلام تمام التمام .. بوليس مفيش بوليس .. العسكري بدل ما يتلطع ٨ ساعات في الداورية لما وسطه ينحل لا .. له كشك قزاز في قزاز في وسط الشارع ومكتب صغير واللي عايزه يجيله لغاية عنده .. شوف بقا الرملة دي لما تتزرع .. التاكس يمشي فيها سبع تيام ما يحصلش اخرها واهم من ده وده ما فيش حاجة اسمها توابيت .. محاريت .. سواقي كلام فارغ من ده .. كله ممكن .. الرى يمكن و .. »

رحلة إلى القلق

بقلم: صلاح الملا

هذا هو جزء من حلم فرحات البسيط بعالم يخلو من التفاهات التي يعيشها في كل لحظة من حياتنا ويمتليء عالمنا بكل ما هو شريف ونظيف .. هذا الحلم كتبه يوسف ادريس سنة ١٩٥٣ او ما بعدها قليلا .. لكن ما بين هذا العالم او بمعنى ادق ما بين رواية المستحيل واللحظة الحرجة ، او بمعنى ادق ما بين عامي ٦١ وبين ٦٥ حدثت اشياء كبيرة ليوسف ادريس نفسه .. كل شيء اخذ صورة اخرى مغايرة للصورة الاسبق عليه ولذلك فقد انكسر الخط المتدفع وتلاشى في الصحراء التي كان يمكن ان « يمشي فيها التاكس سبع تيام ما يحصلش اخرها » .

والحقيقة انه بالرغم من ان جمهورية فرحات تنتمي تاريخيا وفكريا الى الفترة السابقة على الفرافير الا اننا فضلنا ان نؤجل الحديث عنها حتى نتحدث عن الفرافير ، فمن الواضح ان الفكرة الاساسية في المسرحيتين واحدة .. فكرة البحث عن المجتمع المثالي الذي يمكن ان يعيش فيه الانسان ، مجتمع يخلو من الاستعباد والامتهان والاستغلال .. في الاولى (جمهورية فرحات) كتب يوسف ادريس فكرته بواسطة حلم رجل بوليس متعب من التوافه التي تحياها يوميا ، اما في الثانية (الفرافير) فقد كتبها على هيئة حوار ذهني بين اثنين .

والفرفور يحدد شخصيته الدكتور لويس عوض هكذا : « **الفرفور اسم يطلق عادة في المسرح الشعبي على الخادم او التابع الذكي ذرب اللسان الذي يكون عادة موضع سر سيده وناصحه الامين بما جبل عليه من حكمة شعبية وقلب متعاطف مع قلوب الناس** » .

ويوسف ادريس حين تحدث عن شخصية الفرفور في مقدمة الكتاب المطبوع لم يتحدث عنه كشكل طبقي،عبد مثلا،وانما الذي حدث انه اثناء التناول تعامل معه على انه عبد فعلا لشخصية السيد (الشخصية الاخرى التي الفها المؤلف) ومن هنا ناقش يوسف ادريس فكرته .

ماذا يريد يوسف ادريس ان يقول في الفرافير ؟

بصرف النظر عن اكوام النكات التي لا لزوم لها بالمرة في عمل مثل الفرافير ، والاضافات التي لا لزوم لها بتاتا ، فالقضية التي ناقشها خطيرة وحية تحس مثلا بخطورتها ، وبالمأساة الحقيقية ، ففي النصف الثاني من المسرحية نقاش على مستوى رائع وغريب .

تبدا المسرحية وامامنا على المسرح مؤلف يقدم لنا مسرحيته .. ويتحدث عن السبب الذي من اجله كتبها هكذا (خاصة وان يوسف ادريس حاول التخلص من الشكل المسرحي العالمي ليلجا الى السامر المصري الشعبي يستلهمه بينما الذي حدث فعلا شيء اخر غير هذا كله) ويقول لنا المؤلف انه سيقدم لنا الان عملا عظيما وخطيرا ويقدم لنا الشخصيتين الرئيسيتين في مسرحيته الفرفور والسيد ، ويتركهما ، فوراءه عمل في

يوسف ادريس - تابع

الاذاعة والمسرح والتلفزيون والسينما على ان يعدنا ان يرسل زوجة لكل منهما كما يحدث في الروايات .

ويبدأ الحوار بين السيد والفرفور .. ماذا يفعلان ، ويستعرضان كل الاعمال لكن يكون نصيب هذه الاعمال الهزء بها والسخرية ، وفي اثناء الحوار يكتشفان انه من المفروض حسب نص الرواية التي يلعبانها ان يكون السيد سيدا والفرفور خادما للسيد واذا كان المؤلف قد قدم لنا الفرفور اولا لا يحلمواتما يمارس الكلام والضرب والجري والقفز فهو حركة وحياة ، فانه قدم لنا السيد بصورة اخرى مختلفة .. ربما كمبرر اغريقي لكونه سيدا ، فالسيد عندما يختاره الفرفور يكون نائما وعندما يسأل عما كان يفعل يقول انه كان يحلم بأنه يحلم بأنه يحلم اي انه في حلم ابدي .. والحلم الابدي في الحقيقة وهو وظيفة السادة او بمعنى اخر هو وظيفة العقل المتفرغ للحلم ، الذي يجد وقتا للحلم على حساب من يعملون وينتجون .. هكذا يقول لنا التاريخ الاغريقي ، فلولا مجتمع العبيد لما وجد افلاطون وارسطو وسقراط الفرصة لان يتفلسفوا او بمعنى اخر يحلموا .. صحيح ان ارسطو وسقراط ماتا منذ زمن بعيد ، لكن ما دام ان السيد رمز للسيادة في كل العصور فالحلم باق كذلك في كل العصور ، ولهذا فالحلم لا ينتهي .

وبرفض كل الاعمال التي نعرفها لا يبقى الا عمل واحد هو الذي ينهي والذي يشطب على كل عمل «دفن الموتى» واذا احتاج الامر ولم نجد موتى فلنقتل «فربما لم تسعفنا الطبيعة وهكذا يقتل السيد ، ويحاول الفرفور ان يعترض على وضعه في الرواية لكن السيد مرتكزا الى طبيعة النص يستدعي دائما المؤلف الذي يهدد الفرفور بان يكمل دوره والا .. لكنه دائما يتضاءل حجمه ، وفي هذا الفصل ايضا يتزوج السيد من واحدة من المتفرجات جاءت لتتفرج على الرواية بعد ان تأخرت البطلة التي ارسلها المؤلف متأخرا فيتزوجها السيد ايضا حلا للموقف كما يتزوج الفرفور عن طريق ما يمكن ان نطلق عليه لفظ سيدة مجازا وهذه ارسلها المؤلف .وهكذا ينتهي النصف الاول من الرواية .. وقد هجر الفرفور سيده الذي يريد ان يتخلص من احساسه بالذنب لقتله الرجل بقتل رجل جديد والفرفور يؤمن بان السيد قد تحول الى وحش .

عندما يبدأ الفصل الثاني او النصف الثاني من الرواية فلا يهم ان تبدأ بعد الف سنة او عشرة الاف سنة او حتى قبل الفصل الاول فالرموز هنا عامة وما يمكن ان يحدث كان من الممكن ان يحدث من مليون سنة وبعد الف سنة هكذا يقول يوسف ادريس .

ويجيء الفرفور بعد سياحة طويلة ويجيء السيد ايضا ، والفرفور قد ازداد خبرة والسيد قد شبع من القتل والنوم ممثلا في ابنائه تحوتمس والاسكندر وهتلر وموسوليني ونابليون .. والفرفور برغم كل ما حدث لابنائه الكبار سبارتاكوس او كافور او عنتر بن شداد يجيء ايضا ليسأل السيد بصوت عال نفس السؤال الذي كان يسأله السيد : **«انت سيدي ليه»** .. ويتبع ذلك بقرار بالا يكون فرفورا حتى ولو كان هذا دوره الذي رسمه المؤلف الذي يمكن ان يكون الله او القدر ، ويستنجد السيد هذه المرة بالمؤلف لكن المؤلف قد ابتعد ، غاب ، واصبح مجرد ذرة نحن الذين نتحكم فيها في الحقيقة ، وهكذا يصبح الانسان (او الفرفور) سيد نفسه او بمعنى اخر مؤلف نفسه .

ومن هنا يخضع السيد ، هما يجربان كل الانظمة ويصبحان معا سيدين فيفشلان .. ويحاولان ايضا ان يكونا فرفورين فيفشلان .. وسيدين وفرفورين في نفس الوقت فيفشلان ايضا فلا يجدان حلا بعد ان حاصرتهما مطالب الزوجات واحساسهما بضرورة عدم التنازل عن السؤال الا ان يقررا الموت .. لكن حتى في الموت ايضا يدور الفرفور مع الالكترون الصغير حول سيده النيوترون الاثقل في الوزن .. وهذه المرة بحكم القانون الطبيعي ..

وتنتهي المسرحية والفرفور يدور ويدور ويدور وهو يصرخ : **شوفوا لنا حل .. شوفوا لكم حل ، لازم يكون فيه حل .**

وهنا يقول **الاستاذ محمود امين العالم** (المصور ٢٢ مايو سنة ١٩٦٤) « ما شغلني البحث عن حل للقضية التي طرحتها المسرحية لاني ادركت ان البحث عن حل لها هو تورط في القضية نفسها وفي قضية مغلوطة ، بل وادركت انه حتى اليأس من ايجاد حل لها هو تورط كذلك ، في هذه القضية المغلوطة » .

لكن لماذا ؟

يقول الاستاذ العالم كمبرر لرفضه هذه القضية المغلوطة التي عرضتها المسرحية « **ان هذه المسرحية تشيع مفهوما وجوديا فوضويا للحرية ما اخطره على حياتنا الثورية الراهنة ، والغريب ان الدكتور يوسف ادريس لا يستلهم تراثنا الشعبي في صياغة افكاره ومفاهيمه وانما يتورط بالشطحات التجريدية المغرقة في**

مفاهيم مغلوطة هي لغة الادب الوجودي ومسرح اللامعقول منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم . الحرية المغلقة ... حرية بغير علاقة بغير مجتمع بغير اطار ، بغير نظام شامل بغير انتهاء ، انا وحدي في مواجهة العالم ، فرد في مواجهة القطيع ، انا وحدي في عالم غير منطقي ، دفاع عن الانسان اللامنتمي غير المرتبط بنظام شمسي او اجتماعي » .

لكن **الاستاذ رجاء النقاش** في مقاله القيم عن الفرافير يقول : **« والذي اثار الدهشة واثار النقد ضد الفرافير هو ان البعض يرون ان محاكمة المجتمع تصبح معقولة من الفنان اذا كان المجتمع فاسدا من الاساس ، فمثلا محاكمات برنارد شو للمجتمع الانجليزي في مسرحياته المختلفة هي محاكمات مقبولة ومنطقية فالمجتمع الانجليزي خاضع للنظام الراسمالي وبرنارد شو كاتب اشتراكي ، ومن الطبيعي ان يرى شو الاشتراكي في انجلترا الراسمالية كثيرا من العيوب والامراض ومن الطبيعي كذلك ان يحاكم شو المفكر الاشتراكي تلك النظريات الفكرية المختلفة التي تصدر عن مفكري النظام الراسمالي ، هذا منطقي .**

ولكن هذا الذي يثير الدهشة هو ان ينقد يوسف ادريس الاشتراكي مجتمعا اشتراكيا هو المجتمع العربي في مصر وان يقيم هذا الفنان الاشتراكي محاكمة لجميع النظريات الاشتراكية بما فيها نظريتنا الاشتراكية ».

ـــ مجلة الطالب عدد يونيه ١٩٦٤ ـــ

والحقيقة ان في هذا المنطق خطأ واضحا فلا احد يعترض على نقد المجتمع العربي في مصر ابدا ، (حتى ولو كان هذا المجتمع اشتراكيا حقيقة وحتى ولو كان الفنان اشتراكيا حقيقيا) بل اي مجتمع في العالم ، فرؤية الفنان دائما واحساساته غير رؤية السياسي او احساساته او المصلح او المفكر الاجتماعي ، لكن القضية هي ان يوسف ادريس في مجال رفضه لكل شيء قد ساوى بين كل انواع الفكر الاشتراكي والنازي والراسمالي معا . من هنا خطاه بل ان الناقد بهذا الشكل يكون قد ظلم المسرحية كثيرا لانه يجردها من عمقها وهو نفسه قد احس بذلك فقال :

« ولكننا مع ذلك لا يمكن ان نعفي المؤلف من خطا فكري وقع فيه هو تسويته المطلقة بين جميع المذاهب الفلسفية ، وهذا بالطبع فكر غير سليم » والحقيقة ان يوسف ادريس لو كان قد فرق بين المذاهب المختلفة لازاحنا واراح نفسه فيما هو الحال لو كان متحيزا كما كان من قبل للادب الاشتراكي ؟.

لكن الناقد نفسه **(رجاء النقاش)** يقع في خطا غريب على مثله ان يقع فيه فهو يقول :

« ولو كانت المسرحية تعالج مشكلة تقليدية لكان اعتراضها على النظريات والافكار المختلفة مردودا بشدة ، فلو كانت المشكلة الاجتماعية او الاقتصادية في حياة الانسان مثلا ، لكان من المؤكد ان المسرحية يجب ان لا تتجاوز الحل الاشتراكي فهو الحل السليم النبيل لهذه القضية بل هو الحل السليم النبيل لما يتبع حل القضية الاجتماعية والاقتصادية من قيمة معنوية مختلفة ، ولكن المسرحيه تضع مشكلة انسانية غير تقليدية وتحاول ان تجد لها حلا وهي مشكلة الفرفور والسيد » .

والحقيقة ان هذا الكلام غير مقبول ، والدليل على ذلك نكتة الادب البروليتاري ، فلا يوجد شيء اسمه ادب البروليتاريا لسبب بسيط وهو ان البروليتاريا علميا مرحلة انتقال لا اكثر ولا اقل ، ثم من الذي قال ان الادب الاشتراكي ، او الملتزم عموما ، ادب لا يبحث الا في الجبنة والسميط والبيض والزيتون فقط ، واذا كان الامر هكذا فلماذا كان مكسيم جوركي يحرض الادباء السوفييت الشباب على تقليد شكسبير ؟ فهل شكسبير ماركسي ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا قال ناظم حكمت الماركسي ان كل ادب جيد هو ادب اشتراكي بالطبيعة ؟ وما زال هناك حتى الان خطأ شائع ناتج عن سوء فهم الادب الاشتراكي والفكر الاشتراكي على انه ادب السميط والبيض والجبنة ، والحقيقة ان الاشتراكية ان هي الا الارض الصلبة التي يقف عليها الانسان ليتحرر من كل قيد يمنعه عن الحركة **(المرض ، الفقر ، الجهل ، الاحساس بالعجز امام الطبيعة ، الاحتقار لنفسه)** ليتطلع بعد ذلك ليفكر ، ليفكر وليس لينام كالبقرة اخر النهار ، ليستمتع بحياته هكذا قال يوسف ادريس نفسه يوما ما **« وبالليل يروحوا السيمات ، السيمات دى مهمة قوي ، في كل شارع سيما ، والافلام تمام التمام » .**

هكذا كان يفكر فرحات مخلوق **يوسف ادريس** الضعيف لانه لم يكن يعرف الاوبرا او بيتهوفن او حتى الاسئلة الميتافيزيقية ومن اجل ذلك فلا احد يعترض على الاسئلة الميتافزيقية ومناقشتها ، ومناقشة الموت والله والحياة والالم ، كل شيء ، انما الخطير فعلا ان يضيع ماء حياتنا في صحراء البعد عن الحقيقة ، ولذلك نقد هاجم كل النقاد هذا التمييع للموقف ، فالعالم يقول : **« على اني احب ان اؤكد منذ البداية اني لا اعرف حدودا نهائية لحركة الحياة وخصوبتها وقدرات الانسان وعبقريته ، المهم ان يكون الفن للحياة ، للانسان ، وليست هذه حدودا نهائية للفن ، بل هي حياته وانسانيته بل وفنيته كذلك » .**

يوسف ادريس - تابع

ونفس هذا الكلام تقريبا يقوله ايضا **الدكتور لويس عوض** في مجال عرضه للمسرحية **« فهل رأيت تشاؤما ابلغ من هذا التشاؤم ؟ لقد جرب يوسف ادريس كل الانظمة التي عرفها بنو الانسان على مجتمعه الصغير ليحل مشكلة خضوع الانسان للانسان فلم يجد بينها نظاما واحدا ياتيه بحل ممكن او مقنع »**

(الاهرام ٢٩/٤/٦٦ الملحق الادبي) .

والحقيقة ان الخطا الذي وقع فيه يوسف وقضى على تحدده،نتج عن تصوره ان السؤال الميتافيزيقي يتناقض في مكوناته الاساسية مع الاشتراكية ، ولذلك فقد كان عليه ان يرفض الاشتراكية متمثلة في جمهورية فرفوريا العظمى ايضا في الطريق ، وكان نتيجة لذلك ايضا ان ضمرت شخصية السيد امام شخصية الفرفور ، فالمقابل التجريدي للسيد هو العبد لكن الذي حدث ان يوسف ادريس عثر في الادب الشعبي المصري على شخصية الفرفور ذرب اللسان سريع الحركة ، يتلذ بطرقته الخاصة ، يسأل بطرقته الخاصة ، يسأل دائما ويعمل دائما ، تحيره كلمة « ليه » المصرية ، او لماذا بشكلها الفلسفي .. ولذلك فالفرفور شخصية مسرحية محددة الملامح والقسمات ، بعكس السيد الذي كان مجدبا حقيقة وذلك حدث نتيجة لتناقض وقع فيه يوسف ادريس من تصوره ان الفكر يتناقض مع العمل وبالتالي يتناقض مع نفسه طبعا، فلم يكن الفكر الانساني فكرا لطبقة معينة يوما ما ، ولم يكن ابدا نوعا معينا من التفكير ايضا ، فافلاطون الاغريقي الحر يتحدث عن الحرية والطبقات البرجوازية التي اتخذت من الديموقراطية شعارا لها ، بل ان النظرية الاشتراكية كانت وليدة البرجوازية الصغيرة .. ومن هنا فان الفكر الانساني هو انساني بطبيعته حوى في داخله تناقضاته الخاصة ليستقل يوما ما نتيجة لهذا التناقض ، فقد هوى ذات يوم النازية والفاشية والديموقراطية معا ، حتى يدفع ملايين الفرافير المؤمنين بالديموقراطية ذات يوم حياتهم ذاتها دفاعا عنها ضد النازية لتبقى بعد ذلك الديموقراطية ابدا جديرة بان تتوج هامة الانسان .. وخطا اشد ما يكون الخطا ان يفهم الانسان ، المفكر ا او الحالم ابدا كما صوره يوسف ادريس في بداية المسرحية) انه دائما هو السيد فلبس التفكير نوعيا وحدة واحدة ضد كرامة الانسان التي كتب يوسف ادريس مسرحيته اصلا للدفاع عنها ..

■■■■

اقرأ

● **كان ابو القماقم من ظرفاء العصر العباسي وكان يتعشق حسناء من جيرانه ، فارسل اليها يقول : ابعثي بطبق شواء اكله على اسمك .. فبعثت اليه به ، فلما كان من الغد ارسل رسوله يقول : « ابعثي لي طبق حلوى آكله على ذكرك » . فقالت لرسوله : قل له ان منبع الحب من القلب ، وانت حبك لا يتجاوز معدتك .**

فكان رده عليها : انما فعلت لاقوى على محبتك ، الم تسمعي قول الشاعر :

ان كان في قلبي طعام ذكرتها
وانجعت لمتخطر ببالي ولافكري

● وقف صف طويل امام كشك التلفون ، كل ينتظر دوره .. وكان في الكشك رجل يمسك السماعة وهو ساكت .. وبعد ان امضى عشرين دقيقة وهو على هذه الحال ، مل المنتظرون .. وتقدم اولهم وفتح الباب وقال لشاغل الكشك :

« ارجو المعذرة يا سيدي اذا كنت غير مستعمل للهاتف فان غيرك ينتظر لاستعماله فيما ينفعه » .

فقال الرجل : **« انت غلطان يا سيدي .. انني في محادثة مع زوجتي » .**

● سأل حافظ ابراهيم الشاعر محمد امام العبد ، لماذا لا تتزوج ؟ فاجاب :

يا خليلي وانت خير خليل
لا تلم راهبا بغير دليل
انا ليل وكل حسناء شمس
فاجتماعي بها من المستحيل

اقوال واستمع

● ذهبت بعثة من علماء انكلترا الى الصين للبحث عن الامثال الشعبية الصينية التي تشبه الامثال الانكليزية واستطاعت البعثة ان توفق في مهمتها الى حد كبير وبقي مثل واحد اصر رئيس البعثة الانكليزية على ان له شبيها في الامثال الصينية . وكان معنى هذا المثل : « يحرص على الفلس ويضيع الدينار » .

وبعد ايام اتصل احد علماء الصين برئيس البعثة ، يبلغه انه عثر على المثل الصيني المطلوب .. الذي يؤدي المعنى نفسه .. وكان المثل الصيني يقول : « الذي ينام مبكرا ليوفر ضوء الشموع ، تتحفه زوجته بالتوائم » .

● فوجىء المسافرون والقادمون والزوار في باحة المطار بصوت المذيع الذي يعلن عادة عن وصول او اقلاع الطائرات يقول : الشخص الذي نسي جهاز السمع في الطائرة القادمة من بومباي ليتفضل وياخذ جهازه من المكتب حتى يستطيع ان يسمع ما يقال .

● وصل مارك توين ذات ليلة الى احد الفنادق للمبيت فقدم اليه الموظف السجل الخاص باسماء النزلاء ليقيد اسمه فيه فسرح نظره قليلا في السجل قبل ان يخط اسمه فاذا به يقرا اسم النزيل الاخير :

« البارون اونتل وخادمه » .. فتناول القلم وكتب : مارك توين وحقيبته ..

● احتارت الزوجة في ماذا تعمل مع زوجها الشارد الكثير النسيان ، ثم قررت ان تغير اسلوب معاملتها له بعد عودته الى البيت وبدل ان تعيب عليه تصرفاته لجات الى ملاطفته ومعاملته باللين .

وفي احد الايام صدف ان عاد من عمله مبكرا فاستقبلته ببشاشة :

— اجلس يا حبيبي لترتاح قليلا .. ساحضر لك النعال الى هنا . وتطلع اليها زوجها مذهولا بينما تابعت تقول: ساحضر لك كوب ماء بارد في حين اكون قد هيات الطعام .

وبدا الاستغراب على الرجل كانه نسي انه في بيته فهز كتفيه قائلا:

— حسنا ، ولكن اسرعي لئلا تقلب زوجتي الدنيا فوق راسي حين اعود الى البيت .

● ارسل الكاتب المعروف وليم فولكنر ذات يوم احد معارفه الى الناشر غرانك موتز طالبا منه مبلغ خمسين دولارا ، ولكن الناشر صرخ في وجه الرسول عندما فاتحه بالطلب:

— انه مدين لي بخمس قصص حتى الان .. قل له انني لن ادفع له اي مبلغ الا اذا عرفت اوجه صرفه مقدما .

فغادر الرسول ليعود بعد قليل بمظروف مغلق قدمه للناشر على انه الجواب .. وكم كانت دهشة الاخير عندما وجد المظروف خاليا ولكنه بعد ان فتحه هز راسه باسما وارسل لفولكنر ما طلبه من مال .. لقد سقطت من المظروف شعرة طويلة شقراء ..

● القلق هو الفائدة التي يدفعها الانسان ثمنا لمكروه لم يحدث ..

● يقول برنارد شو في بعض سخرياته : « يقول الرجل لزوجته قبل الزواج : انا على استعداد ان اطرح روحي وقلبي عند قدميك .. ولكنه بعد الزواج يصعب عليه ان يطرح الجريدة جانبا ليكلمها » .

● كتمانك سرك يعقبك السلامة ، وافشاؤك سرك يعقبك الندامة ، والصبر على كتمان السر ايسر من الندم على افشائه .

● افكارك تجلب اليك قوى من الخارج هي من ذات النوع الذي تختزنه في نفسك .

● قال اب لابنه :

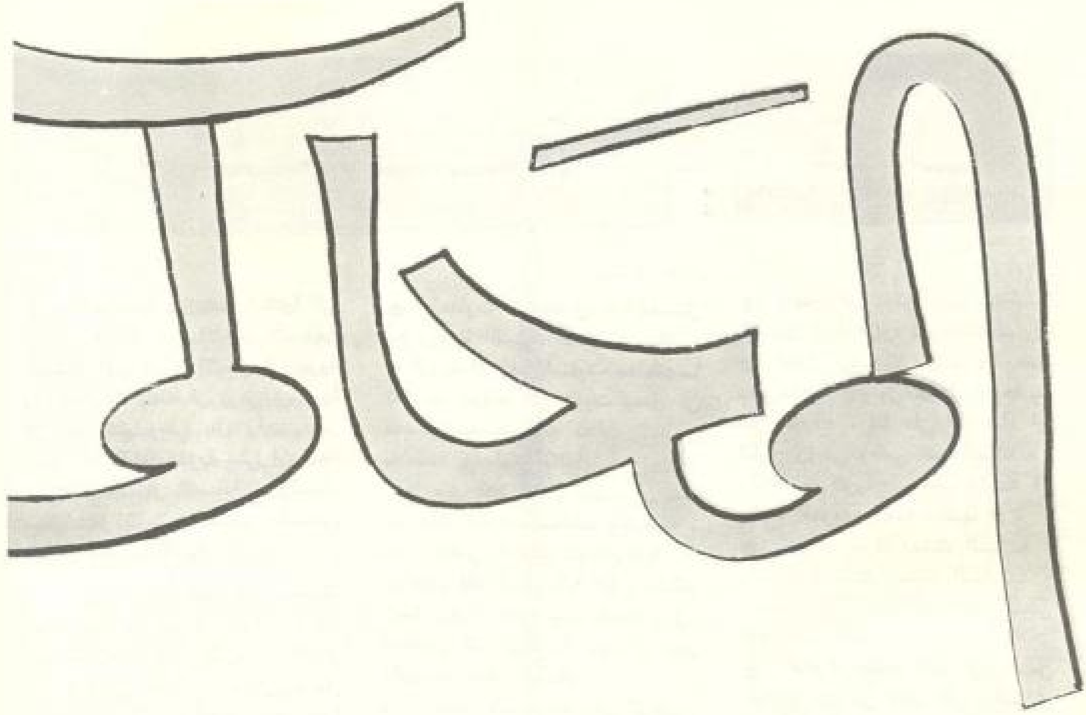
« يا بني كن كريما ، اديبا في معاملة جميع الناس ، حتى الذين يسيئون اليك الادب ، اذ عليك ان تذكر انك لا تتوخى كرم النفس مع الاخرين لانهم سادة كرام ، بل لانك انت سيد كريم » .

● قال احد الحكماء : لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل .

● قال الامام الغزالي : مهما رايت انسانا سيىء الظن بالناس ، طالبا للعيوب ، فاعلم انه خبيث في الباطن. والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق .

● يصعب جدا ان نكره اشخاصا احببناهم ، ولكن ليس صعبا ان نحب اشخاصا كرهناهم ..

● منتهى الحكمة ان يكون حلمك واسعا الى حد انك لا تفتقد الحلم وانت تحاول تحقيقه .



ترجمة

رياض بولص يعقوب

في فبراير وبعد واحدة من أشهر المحاكمات في تاريخ روسيا الحديثة . حكم على كاتبين روسيين هما اندريه سينيافسكي ويولي دانييل . بالسجن لمدة سبعة وخمسة اعوام مع الاشغال الشاقة ، لقيامهم بطبع كتبهم خارج البلاد ، ولكون هذه الكتب تعادي الشيوعية والنظام القائم في روسيا ، وانهم قد طبعوا كتبهم تحت اسماء مستعارة هي ابرام تيرتز ونيكولاي ارزاك .



وقد احيطت المحاكمة باجراءات أمن مشددة ، ولم تذع من المحاكمة سوى معلومات ضئيلة خضعت لرقابة رسمية شديدة ، ولكن استطاعت نسخة طبق الاصل من لب المحاكمة ان تنفذ سرا الى الغرب بواسطة ايدي سرية ونشرتها صحيفة « صنداي تايمس » في عددها الصادر في ١٧ ابريل الماضي ، وقد اكدت دلائل ثابتة على أصلية وعدم زيف النسخة المتسربة ، وهي تعتبر اكبر مخطوطة صريحة عن طبيعة الحكومة والضغط القانوني على الحرية الادبية في الاتحاد السوفياتي ، وباطلاعنا على ما سبق ونشر عن هذه القضية الأدبية التي هزت العالم الأدبي كله وباستعانتنا بما نشرته صحيفة « الصنداي تايمس » قمنا باعداد هذه المحاكمة التي تعتبر من أهم المحاكمات الأدبية في القرن العشرين .

المترجم

ق



بدأت المحاكمة التي استغرقت اربعة ايام في ١٠ فبراير ١٩٦٦ بعد تحقيق اولي مع الاديبين دانييل وسينيافسكي استمر خمسة أشهر .

ان غرفة المحكمة صغيرة ومزدحمة تسع لمائة وخمسين شخصاً فقط . ومعظم الحاضرين من الرجال الذين اتوا ببطاقات دعوة فقط . وعند باب القاعة يخرج كل شخص بطاقته الشخصية وبطاقة الدعوة . وقد ازلت ستائر النوافذ ، ولكن قاعة المحكمة كانت جيدة الاضاءة ولم يكن يبدو على المتهمين علامات المحنة التي دامت خمسة اشهر . كان سينيافسكي ضعيف البنية قصير القامة ذا لحية حمراء وهو في الاربعين من عمره ، وكان يرتدي بنطلوناً أسود وقميصاً ابيض . وكان دانييل ايضاً في الاربعين من عمره – أسمر طويلا – ذا فم كبير وشفتين عصبيتين ، يرتدي قميصاً ملوناً وجاكتة قديمة .

يدخل أثنان من « محكمي الشعب » مع رئيس المحكمة القاضي ل.ن. سميرنوف ، وهو شخص ضخم الجثة في الثامنة والخمسين من عمره ، رأسه ملقى الى الامام كرجل اعتاد على ممارسة السلطة .

يقوم المجلس باجراءات استفهامية واجابة على واحد منها ، رفض القاضي ثلاث شهادات على أنها أدبية بحتة ، فالشهادات الفنية لا يمكن الاعتماد عليها ، والذي يهم هو اذا كان المتهمان قد خرقا القانون أم لا (وهما متهمان بموجب المادة ٧٠–١ من البند الاجرامي :

الافعالات التي تسيء الى النظام السياسي والاجتماعي السوفييتي ، توزيع وتحضير وكتابة الأدب المماثل لهذا النوع يعاقب عليه بالحرمان من الحرية لمدة تتراوح من ستة اشهر الى سبع سنوات أو بالنفي من سنتين الى خمس سنوات .)

يقرأ سكرتير المحكمة قرار الاتهام ، وهو مستند طويل يحتوى عموماً على أشياء عن « أعمال افترائية لما يدعى بالادب السرى » الى مقاطع معينة من كتابات المتهمين ، ومقاطع أخرى من « الهذيان البرجوازي للمعلقين الغربيين » والكاتب سينيافسكي علاوة على كتاباته فهو متهم بنقل اعمال دانييل وريميزوف الى خارج البلاد ، وريميزوف الآن هو شاهد للاثبات .

أما الكتب التي طبعت خارجا والتي جاءت اسماؤها في قرار الاتهام فهي الكتب الساخرة التالية : « بدأت المحاكمة » و « ليوبيموف » ومقال « الحقيقة الاجتماعية » وكلها من تأليف تيرتز (سينيافسكي) ، و « هذه موسكو تتكلم » و « اليدان » و « التكفير » و « الرجل من ميناب » وهي من تأليف ارزاك (دانييل) .

وقد صرح المتهمان بأنهما غير مذنبين ، وعند ذلك تبدأ الصراع التالي : فقد طلبت هيئة الدفاع ان يحاكم سينيافسكي أمام دانييل ، ولكن المدعي العام و.ب. تيوموشكن طلب العكس ووافق القاضي على طلب المدعى العام .

محاكمة دانيـــال

جلسة ما بعد الظهر ليوم ١٠ فبراير ١٩٦٦ .

القــاضي : سوف نبدأ الان التحقيق مع دانيـــال .

المدعي العام : ماذا كانت طبيعة عملك الادبي في الاتحاد السوفييتي

دانيـــال : عملت كمترجم ، وكتبت بعض المقالات ، وقد طبعت دار النشر للاطفال قصة لي بعنوان « الهروب » ولكن القصة لم يسمح لها بالنزول الى الاســواق .

« ولعدم تكرار اسم المتهم والمدعي العام ، رمزنا للمدعي العام بالحرف (م) ودانيل بالحرف (د) » .

م : أي واحد من اعمالك كتب تحت اسم مستعار ؟

د : الاعمال الادبية لا تكتب تحت اسماء مستعارة وانما تطبع تحت اسماء مستعارة .

م : حسنا ، دعنا من هذا ، أي كتاب طبع تحت اسم مستعــار ؟

د : « اليدان » و « هذه موسكو تتكلم » و « الرجل من ميناب » و « التكفير » .

م : هذه الأعمال موجودة في الجزء رقم ٧ من السجل ، هل تتفضــل المحكمة بفحصهـــا ؟

« يحمــل القاضي بعض الكتب وسلسلة من الاسئلة تشير الى تواريخهــا وحقيقتهـــا » .

م : هل اقترح احد عليك موضوع أي من هذه الكتب؟

د : ليس الموضوع ، ففكرة كتاب « هذه موســكو تتكلم » قد اقترحها علي صديق قديم اسمه كلتسكي .

م : هل تكلمت فيما بعد مع صديقك هذا عن حقيقة تلك الفكـــرة ؟

د : نعم ، مرتين ، المرة الأولى في سنة ١٩٦٢ ، وفي حضور شهود عدة سألني فيما اذا كنت قد كتبت القصة التي اقترح علي فكرتها ، ولكنني لم ارد عليـــه .

م : أوه ، فانت لم تجب عليه ، وبمعنى آخر لقــد ادركت انه كان عليه ان يسكت ، وانه ليس من صالحك ان يعرفوا اسمك المستعار .

د : نعم ، خصوصاً وان القطعة كانت قد طبعت في الخارج ، أما المرة الثانية التي تحدثنا فيها عن الكتاب فكانت عندما كان كلتسكي يستمع ، بحضور آخرين الى رجل يقول ان الكتاب يذاع من اذاعة أجنبية فتعجب وقال بصوت عال : « ولكن هذا ما كنا انا ودانيـــال نعمـــل فيـــه »

م : أيــة اذاعــة كانت ؟

د : لست أدري .

م : كانت اذاعــة الحرية ، وتاريخ اذاعة الكتاب معطى في السجــل .

« يقرأ القاضي مقطعاً من الاذاعة ويحتوي هجوماً على الشيوعية تأتي في مقدمته مقتطفات من كتاب دانيل ، يلي ذلك سلسلة من الاسئلة تستخرج من دانيل قائمة من المعارف الذين كانوا قـــد اخبروا بكتابة ، وفي بعض المناسبات ما بين سنة ٦٢ ــ ١٩٦٥ كان دانيل يقرأ من كتاباته لسينيافسكي وقلائل آخرين » .

م : لماذا قطعت على كلتسكي كلامه عندما بــدأ يتكلم بحضور اناس غرباء . لابد انك كنت خائفــاً من شيء مـــا ؟

م : طبعـاً .

د : اخبرنا يادانيل ، كيف كان معارفك وافراد عائلتك ينظرون من زاوية سياسية الى اعمال كنت تعطيهم اياهـــا ليقرأوهـــا .

د : كاربوزينكو كان الوحيد الذي قال انه لم يكن ليطبع كتابا مثل هذا خارج البلاد ، لانه قد يفهم خطأ ، ويكون اداة بيد اعداء بلادنا ، أما الاخرون فتكلموا عن الوجهة الادبية فقط .

م : في التحقيق الادبي قال كاربوزينكو انه قد اخبرهم ان هذه الكتابات قد تستعمل من قبل الاعـــداء لاغراض الدعاية ، ماذا كان رد فعلك لهـــذا التحـــذير ؟

د : لم أعطه اية اهمية ، لقد كنت مهتماً بتقييمه الادبي فقـــط .

م : لـــماذا لم تعطـــه أيـــة أهميـــة ؟

د : لانني لا أعتقد ان في هذه الكتابات اشياء معادية للسوفييــت .

م : اذا لم يكن هناك أي شيء ضــد السوفييت في كتاباتك ، اذن لماذا لم تسلمها للناشرين الروس .

د : لانني كنت أعرف جيدا ان المحررين لن ينشروا مثل هذه المواضيع الجدلية ، ان كتاباتي لها صبغة سياسية ، وما كانوا لينشروها لأسباب سياسية ، وما أعنيه هو ان المحررين والناشرين لهم سياسات خاصـــة بهم .

م : وبمعنى آخر ، لقد عرفت ان هناك شيئاً مــاقي كتاباتك يقف حائلا بينها وبين طبعها في الاتحاد السوفييتي

د : (منزعجاً) انا اتحدث ببساطة عن طريقة ناشرينا الذين يخافون من نشر كل شيء جديد لي .

م : ولكنك اخذت قصتك « الهروب » الناشر سوفييتي . هل ارسلت كتبك لناشر اجنبي بواسطة طرق قانـــونيـــة .

د : كلا ، بواسطة وسائل غير قانونية .

م : من الذي ساعدك على ارسالها ؟

د : هيلين يلتير زامويسكا ، لا أستطيع القول انني اعرفها جيدا ، ولكنني سألتها ان تعرض هذه الكتابات للطبع .

م : ماذا تقول يا دانييل ، هل تعتبر ارسالك ، كمواطن سوفييتي ، ومن خلال شخص أجنبي أشياء ، اذا استعملت تعبيرك الخاص ، أقول ان لها صبغة سياسية هل تعتبر هذا عملا اخلاقيا ؟

د : كلا ، لا أقول انه عمل اخلاقي .

م : اخبرنا الآن من هي زامويسكا ؟

د : هي اخصائية في الادب الروسي ، انها تدرس اعمال ليونيد اندرييف (ومبتسماً) وهي امرأة بسيطة طيبة (ضحك في القاعة) .

م : وكيف ساعدك سينيافسكي ؟

د : لقد كنت ابحث عن طرق لارسال مسودات كتبي الى الخارج ، لقد كنت اعرف زامويسكا ولكنني طلبت من سينيافسكي ان يوثق معرفتي بها .

م : هل كنت تعرف ان سينيافسكي كان يستعمل زامويسكا كواسطة لنشر كتاباته في الخارج ؟

د : ليس في ذلك الوقت .

م : متى عرفت ذلك ؟

د : فيما بعد ، بعد ان أصبحت كل مسودات كتبي في الخارج .

م : الست تحاول ان تلعب دورسينيافسكي ؟ في التحقيق شهدت انك عرفت ، وهاك ما قلته :

« لم ارد ان أضع سينيافسكي في ورطة ، لذلك فقد ادليت بشهادة زائفة ، الآن لقد قررت ان اتكلم الحقيقة ، لقد أعطيت كتاباتي الى سينيافسكي فعلا ولكنني لا اعرف كيف حولها هو » ..

لماذا تتنصل من تلك الشهادة الآن ؟

د : أنا لا أتنصل منها ، أنا انكرها كليا .

م : دانييل ، في أي وقت كذبت ، في الشهادة السابقة أم فيما قلته الآن ؟

القاضي : **أطلب منك ان لا تستعمل مثل هذه الكلمات .**

د : اعطيت الرزمة التي تحتوي على المسودات الى آن كاريف (احدى معارف دانييل ، وزامويسكا التي عملت كساعي بريد) وعندما أصبح سينيافسكي خارج الغرفة لم يعرف عنها شيئاً وليس له أي دخل فيها .

م : من ١٤ ديسمبر ١٩٦٥ وما بعد شهدت :

« انني لم ارد ان تقع كل المسؤولية على سينيافسكي لذلك فقد أدليت بشهادة مزيفة » .

« يقرأ المدعي العام شهادات دانييل في ١٤ ديسمبر و ١٣ يناير معترفاً فيها بان سينيافسكي هو الذي حول المسودات الى الخارج ولكن ، وهو مواجه باستجواب ملح ، واصل دانييل نكرانه ، وقد سئل عن السبب في تغييره لشهادته . »

د : لقد جرى تشويه لشهادتي ، والسجل يحتوي على افادات في مختلفة ، وفي اوقات مختلفة ايضاً . أنا لست بآلة ، أنا انسان فقط فلا استطيع ان اتذكر كل شيء بالضبط ، خصوصاً أشياء مضى عليها خمس سنوات .

م : في التحقيق ، انكرت بادىء الأمر انك ارزاك ، وبعدها حاولت ، قدر استطاعتك دفع زمن انجازك لاعمالك هذه بعيدا نحو الماضي ، ولكنك يجب ان تتذكر من خلال من ارسلت كتاباتك ، وبعد كل هذا فهذه تفاصيل لها أهمية .

د : بواسطة آن كاريف ، لقد تذكرت الحقائق المضبوطة بعد ان كان التحقيق قد تم .

م : هل اهتممت بما حدث للاشياء التي ارسلتها الى الخارج ، هل رأيتها في شكلها المطبوع .

د : نعم ، لقد عرفت ان ثلاثة أشياء قد طبعت ، لقد جلبتها لي زامويسكا .

م : هل عرفت من هم ناشرو كتبك ، وبأي نوع من التقديمات ؟

د : كلا ، لم أعرف .

م : هل استلمت ثمن كتاباتك ؟

د : كلا .

م : هل تكلمت مع زامويسكا عن الدفع ؟

د : نعم ، لقد قالت ان اثمان الكتب قد وضعت جانبا وانها كانت مبالغ كبيرة ، ولكنني لم أعرف المبلغ بالضبط .

م : والآن يا دانييل ، هل توضح لنا التوجيه الايديولوجي لقصتك « هذه موسكو تتكلم » .

د : بالنسبة لي هناك اختلاف بين القناعة الايديولوجية والتوجيه الايديولوجي . أولا ، اريد ان اخبركم كيف ولماذا كتبت هذه القصة ، ان فكرة القصة اقترحها صديق ، وقد انجذبت انا نحو الفكرة حيث بوصف يوم للجريمة عامة خيالية استطيع ان القي نورا على سيكولوجية وسلوك الناس . في سنة ١٩٦٠-١٩٦١ . عندما كنت اكتب هذه القصة كنت مقتنعاً بان البلاد هي على وشك استعادة زمن عبادة الشخصية ، ان ستالين لم يكن ميتا لمدة طويلة ، ومرة أخرى رأيت كل الظواهر : كان هناك مرة أخرى رجل عرف كل شيء ومرة أخرى كان هناك رجل واحد يملي

ارادتـه على الخبراء الزراعيين ، والفـنانين والسياسيين والادباء ، ورأيت مرة أخرى كيف ان اسما واحدا كان يظهر على صفحات الصحف وعلى الاعلانات وكيف ان التصريحات التافهة غير الناضجة لذلك الشخص قد قيل عنها مرة ثانية انهـا زبـدة الحكـمة ..

القاضي : وعلى هذا ، خوفاً من استعادة العبادة الشخصية في بلادنا قررت ان تلجأ الى شركة هابر للنشر في واشنطـن .

د : انا لا اتحدث الآن عن لماذا ارسلت القصة خارجاً ولكن عن لماذا كتبتهـا .

القاضي : تابـع

د : على كل حال ، بما اني رأيت كل هذا يحدث وتذكرت رعب الاحكام والمخالفات القانونية تحت حكم ستالين ، وصلت – وأنا متفائـل بالطبيعة – الى ان الايام الرهيبة لعبادة ستالين قد ترجع ، والى ابعد ما استطيع تذكره ، ففي تلك الايام حدثت أشياء كانت اكثر فظاعة ورعبا مما كتبته ، ابعادات بالجملة وتسفير وافناء معظم الشعب . ما كتبته كان كلعبة الاطفال بالمقارنة .

المدعي العام : أحب ان أسأل دانييل ان يقرأ لنا مـ ـة الفصل الرابـع .

القاضي : لا ارى حاجة لقراءة لغة غير صالحة للطبع في هذه المحكمـة .

م : لا أزال ارغب في الحصول على الموافقة لقراءة المقدمة وسألغي المقاطع ذات اللغة السيئة .

القاضي : حسنا ، ولكن بدون اللغة السيئة .

م : (يقرأ) : **« أنا اكرههم لحد التشنج ، وتعالى الصرخات في حنجرتي وابدأ بالرجفان . آه لـو استطيع ان اصل اليهم وبضربة واحدة أمسح وأدمر كل هؤلاء .. » حسنا يا دانييل بماذا تفسر كل هـذا ؟ ..**

د : هـذه هي افكاري الشخصيـة .

« ضحك في القـاعة ، يلتفت دانيـيل حواليه بعصبيـة » .

م : من هـو هـذا الذي تكرهـه جـداً ؟

د : الى من توجه الكلام ؟ لي ، ام الى بطل القصة ، أم الى شخص آخـر ؟

م : من هو بطلك الايجابي الذي يعبر عن وجهة نظرك في القصـة ؟

د : لقد اخبرتك مرة فيما مضى من نقاشنا الاولي ، انه ليس للقصة بطل ايجابي وهي لا تحتاج لواحد .

م : لم يحدث مناقشة أولية ، ولكن من يعبر عن دستور البطـل ؟

د : ان شخصيات القصة تقوم بنقل تصرفات الكاتب ولكن بصورة جزئية فقط . فلا توجد شخصية معينة تمثل الكاتب . ربما انه أدب سيىء ، ولكنه أدب وهو لا يقسم كل شيء الى ابيض واسود .

: أحب ان اقرأ نتائج كلافليت (كلمة سوفييتية داخلية للرقابة) : ان قصة « هذه موسكو تتكلم » هي « تهريج وحشي » ويتبع ذلك تقييم للقصة يتوافق كليا مع الاتهام ما عدا ان تقرير كلافليت يرى ان القصة تعبر عن عداء للسامية هل توافق مـع هـذا ؟

د : طبعاً لا ، ان التقرير يقول انني اعبر عن افكاري من خلال « افواه شخصياتي » وهذا – واقولها بلطف – اتهام ساذج ، بهذه الطريقة تستطيعون اتهام اي كاتب روسي بان له عواطف معادية للشيوعية ، خذوا مثلا الحرس الابيض في اعمال لافرنيف وشولوخوف وليتوف ..

م : (مقاطعاً) ان مقارنة الصحافة الغربية بينك وبين دوستويفسكي ، يبدو انها قد اثرت على عقلك بحيث انك تعتقد الآن انك من كبار الأدباء الروس .

د : أنا لا أقارن نفسي مع أي أديب آخر . كل ما اريد توضيحه هو انه ليس ما تقوله الشخصيات هو المهم . وانما تصرف الكاتب تجاه ما تقولـه تلك الشخصيـات .

: (يقرأ من تقرير كلافليت) : « في نظر المؤلف فان الشعب الروسي يتبع القيادة العليا بصورة عمياء » كيف تقدر قصتك من وجهة النظر هذه ؟

د : أنا لا أوافق الى حد ما ، على الفكرة القائلة ان المبادرة السياسية هي للمجموع .. انا لا أؤمـن بهـا كثيرا ، أنا اعتبر الجموع سلبية سياسياً .

م : وبمعنى آخر ، اذا اعلن عن يوم قتل جماعي ، فاننا نتوقع ان يهرع كل واحد ليقتل واحدا كما اخبروا بذلك .

د : كلا أنا لا أقول ذلك في القصة . ان يوم القتـل الجماعي هو اداة أدبية اخترت لدراسة ردود الشعب الفعليـة .

القاضي : هناك شيء اريد توضيحه ، تخيل شقة اشتراكية حيث قد دخلت فيها ايفانوفا بمناقشة مع سيدوروفا فاذا كان على ايفانوفا ان تكتب ان هناك سيدة معينة تجعـل الحياة صعبة لسيدة أخرى ، فهذا سيكون استعارة أو تلميحاً ، ولكن اذا كانت ستكتب ان سيدوروفا ترمي زبلا في حسائهـا عندئذ ستحصل على شيء مثل التشهير أو الفضح أو أشياء أخرى تقع تحت طائلة القانون . أنت بعد كل هذا تتحدث عن الحكومة السوفييتية وليس عن بابل القديمة ، ولكن عن حكومة مخصصة نادت بيوم قتل جماعي ، وضعت أنت تاريخـه

١٠ أغسطس ١٩٦١ . هل هذه هي اداة . أم افتراء واضح ؟..

د : دعني فقط استعمل مثلك ، اذا كان على ايفانوفا ان تكتب ان سيدوروفا كانت تطير على مكنسة وانها تنقلب الى حيوان ، فهذا سيكون اداة أدبية وليس افتراء لقد اتخذت حالة خيالية واضحة .

القاضي : ولكن هناك ما كتبه ب. فيلوبوف (في مقدمة لترجمة هذه موسكو تتكلم) : « هل تستطيع القول ان كل ما كتبه ارزاك هو بعيد عن الحقيقة؟» فهكذا ترى يا دانييل ان هذا ليس استنباطا ادبياً محضاً .

د : انه استنباط أدبي فقط .

القاضي : اريد ان اوضح هذا (يقرأ من كتاب القانون) الافتراء هو توزيع معلومات مشوهة قذفية واضحة هذا هو الجانب الشرعي منها .

د : وماذا عن الحالة الخيالية اذن ؟

القاضي : سارجع الى مثلي . اذا كانت ايفانوفا ستؤكد ان سيدوروفا قد فعلت شيئاً لم تفعله الاخيرة في الحقيقة عندئذ سيحكم المحلفون بان الافادة هي مجرد افتراء .

م : لقد افتريت على الشعب الروسي العادي . انظر كيف يتصرف الشعب الروسي فرضياً لاعلان يوم الجريمة العام (يقرأ مقتطفات) هؤلاء مفروض فيهم ان يكونوا مثقفين . كيف يمكن ان يكون هذا شيئاً ، عدا كونه افتراء .. خذ مثلا مناقشتك مع ماركوليس ..

د : (مقاطعا) تلك ليست محادثتي ، انه بطل قصتي يتكلم .

م : ولكن اليس ذلك هو افتراء على الشعب السوفييتي ؟

د : عندئذ فقصة مايا كوفسكي « بيت الاستحمام » و « صوت السرير » سيكونان ايضا افتراء على الشعب الروسي . المهم افترمايا كوفسكي على بيير سكريبكن

د : دعنا لا نتحدث عن ذلك . ارني شخصاً سوفييتيا واحدا في قصتك هذه يبدو كشخص سوفييتي حقيقي انظر كيف صورت الطبقة المفكرة .

د : وهل تتحدث عن المفكرين ، وكأنهم كلهم يستحقون الاعجاب ؟

م : فقط ارني شخصاً واحداً صور في ضوء جيد (يقرأ مقتطفات) اليس هذا افتراء على الشعب السوفييتي . على الحكومة السوفييتية ؟

د : حتى قانون اتحاد الادباء لا يطلب من الكاتب ان يكتب فقط عن الناس الاشراف حسني السيرة والحكماء . لماذا اجبر على الكتابة عن اشخاص اخيار في عمل ساخر ناقد ؟ ان النقاد من اريستوفان الى جوجول ..

م : ها انت تذهب مرة أخرى .

د : دعني أوضح . أنا كاتب . أنا لا أستطيع تجنب الرجوع الى تاريخ الأدب ، الى خبرة الأدباء الآخرين ، وهذا لا يعني ان أضع نفسي على قدم المساواة معهم لا في حقل الحكمة ولا في حقل الموهبة اتمنى من المدعي العام ان يكف عن الادعاء انني أفعل هذا .

م : في قصتك ذكرت الازفستيا والأدب والحياة ، وذكرت الكاتبين بزونسكي وميكالوف ، لقد افتريت على كل الصحافة الروسية والأدباء السوفييت .

د : كلا هذا ليس افتراء على الصحافة الروسية . لقد كنت المح الأدباء فردبين خدام الوقت ، انه استهزاء من الاسلوب المبتذل ، « الكليشة » التي غالباً ما تجدها في الصحف .

م : لقد توقعت هذا الجواب . وانا ارجع الآن الى بعض المقتطفات عن الازفستيا التي تضمنها كتابك انها تقول : « كالعادة لقد طبعت مقالا افتتاحيا تدعو فيه الى اعتبار يوم الجريمة العام الخ .. » كالعادة ! اليس هذا افتراء على الصحافة السوفييتية كلها ؟

د : انها سخرية من أسلوب مقالات الصحف .

م : الآن على الاقل انت تتكلم بصوتك الحقيقي .

القاضي : لا حاجة هناك للاحظات لا تقدم شيئاً من سير هذه القضية .

م : أنت تكتب ان الشعب هو ضد السامية ، وهم ينتظرون ليبدأوا مذبحة .. اليس هذا كفراً عندما تقارن شعبنا كله بالفاشستيين ؟

د : أنا لم أقل ان الشعب الروسي كله ضد السامية وانما هناك بعض الافراد هم ميالون جداً ..

م : بعض من كل الشعب . سنرى ذلك حالا (يقرأ مقطعاً يصف كيف ان الجورجيين يقتلون الارمن والعكس بالعكس . وفي اواسط آسيا الكل يقتلون الروس) اليس هذا افتراء على الشعب الروسي كله ؟

د : كلا . ليس هذا افتراء على الشعب الروسي .

م : وانت تقول ان كل هذا يحدث تحت اشراف اللجنة المركزية اليس هذا افتراء ؟

د : انت تظل ناسياً ان نقطة البداية لكل هذا هو حالة خيالية . وليس شيئاً حدث حقيقة .

م : (يقرأ تعليقاً لفيلوبوف المهاجر . يقول فيه ان ارزاك معاد للسوفييت) ماذا تقول عن هذا ؟

د : انا اقترح ان تسأل فيلوبوف ايضاحاً . فلست مسؤولا عما يكتبه هو .

م : انت الذي ذهبت الى فيلوبوف بدلا من ان تذهب الى الشعب السوفييتي .

د : انا لم اكتب الى فيلوبوف أو الى أي أحد آخر ، ولم أعرف اين ستطبع كتبي .

القاضي : ولكن فيلوبوف هو الذي طبعها .

د : عرفت هذا في سنة ١٩٦٣ فقط .

م : ولكنك عرفت ان دوائر معادية للسوفييت كانت تذيع كتاباتك عبر الأثير .

د : ليس هناك أساس لهذه الاقوال .

م : هاك ما كتبت يا دانييل (يقرأ مقطعاً من « هذه موسكو تتكلم » يجرم فيها الحماسة المتزايدة في أوكرانيا والنقص الكلي لها في جمهوريات البلطيق)

(في تلك اللحظة تطفأ الأضواء في قاعة المحكمة ، يصرخ احدهم بقوة الى القاضي : ماذا يجب ان نفعل بالاضواء ؟ ويأتي صوت القاضي المستاء : « أنا قاضي ولست كهربائياً » ، تنار الاضواء مرة ثانية) .

م : اليس هذا هو افتراء خبيث على الشعب الاوكراني؟

د : لقد اخبرتك مرة ما هو الافتراء ، انه شيء معقول والحالة التي وصفتها أنا هي غير معقولة . واذا لا تستطيع ان تصدقها ، فانها ليست افتراء انها خيال ولكني اريد ان اكرر ان كل ما كتبت يمكن ان يصبح حقيقة اذا استعيدت عبادة الشخصية .

م : وما علاقة عبادة الشخصية بهذا ؟ انت تتحدث عن الاتحاد السوفييتي في سنة ١٩٦١ هنا على الصفحة ٥٠–٥١ من قصتك ، يأتي البطل الى ضريح لينين في الساحة الحمراء ، ويحاول ان يخنقه . ولا يحرك حارس الضريح ساكناً امام كل هذا ، وانما ينحني لتنظيف بقعة قذرة في حذائه . هذا المشهد وصف على لسان البطل . ويصرخ المجنون الذي هاجم البطل « أنا افعل هذا بأمر من البلاد الأم ! » ما هذا اذن ان لم يكن مهاترة ؟

د : أنا لا أعرف عنك شيئاً ، ولكني خدمت في الجيش واعرف ان الحارس اثناء الواجب ليس له الحق في مغادرة مركزه . لا يوجد اية مهاترة هنا .

م : انا اعني انها مهاترة لان كل هذا يحدث امام الضريح وان كل ما كان يشغل الحارس السوفييتي هو قطعة طين على حذائه .

د : لا يوجد اية مهاترة حول هذا . لو غادر الحارس مركزه كان سيحاكم عسكريا . اقرأ الجملتين أو الثلاث جمل قبل ذلك المقطع .

(يقرأ القاضي المقطع السابق نفسه) .

د : لقد سألتك ان تقرأ ما جاء قبل هذا المقطع لا ان تكرره ، سأختصره انا بنفسي .قبل هذا تماماً يصيح البطل متعجباً : « توقف ! انه لم يرد هذا ، الذي أول من وضع للراحة الابدية ضمن هذه الجدران الرخامية » لقد عارض لينين القتل والرعب والمحاكمات .

(يقرأ القاضي المقطع كله) .

م : في التحقيق الأولي وافقت على ان كل فكرة القصة كانت ان الشعب الروسي كان خائفاً ولا يستطيع ان يقدم اية مقاومة حتى للاوامر الفظيعة .

د : على ان اكرر مرة أخرى . ان القصة تتعلق بما كان سيحدث لو أعيد اعتبار عبادة الشخصية . وبعد كل هذا كان في سنة ١٩٦١ تهديد حقيقي بأن هذا قد يحدث .

م : أنت تفتري مرة أخرى يا سينيافسكي .

د : (ينحني نصف انحناءة) اسمي دانييل .

القاضي : (مخاطباً المدعي العام) لا حاجة لتعليق من هذا النوع غرضنا هو وضع الحقائق . ان اصدار الاحكام يخص المحكمة وحدها .

م : ان كتاباتك « الرجل من ميناب » و « البلدان » و « التكفير » . هي ايضاً معادية للسوفييت في اطارها العام . (يقرأ تقرير كلاقليت : هذه الاعمال هي من وجهة النظر الايديولوجية والسياسية نماذج مثالية للكتابات المعادية للشيوعية . الخ) . ان العقيدة السياسية لقصة « التكفير » موجودة على صورة هذيان في نهاية القصة . مثلا : « ايها الرفقاء انهم لا يزالون يضطهدوننا » و « ان سجوننا هي في داخلنا » الخ . وقصة « البلدان » تحتوي هجوماً متعمدا على « الجكست » (البوليس السري السوفييتي) ويصور سياسة الحزب بانها ضد الشيوعية . أما « الرجل من ميناب » فيصور معهداً في موسكو للتدريس العلمي (وكلمة ميناب (Minap) هي الحروف الأولى من اسم المعهد) ان هذا تشهير وضيع يسخر من اخلاقنا ومن افكار علمية معينة . هل توافق على هذا التقرير ؟

د : طبعاً لا .

م : ولكنك في التحقيق الأولي اتخذت وجهة نظر أخرى (يقرأ مقتطفات من التحقيق حيث اعترف دانييل ان تلك الاسطر من « الرجل من ميناب » يمكن تفسيرها على انها معادية للشيوعية) هل تؤكد هذا ؟

د : نعم اؤكد ان هذه الاسطر يمكن تفسيرها بطرق

عـــدة .

م : (يقرأ مقطعاً آخر) وهذه الاسطر هـل يمكن استخدامها ضد السوفييت ؟

د : يمكن ، ولكنها ليست معادية للسوفييت (ضحك) :

م : دانييل ، ما الذي حدا بك الى كتابة أشياء افترائية ضد الشعب الروسي ، تطعن فيها بالنظام الشيوعي في جمهوريات الاتحاد السوفييتي ؟

د : أنا ارفض الاجابة على سؤال موضوع على هذا الشكـــل .

م : مـــا الذي حـــدا بك لكتابة مثل هـــذه الاعمال؟

د : « ويجرى الدون هادئا » (قطعة كلاسيكية لمايكل شولوخوف ، الفائز الاخير بجائزة نوبل للأدب) اعتبرت مرة كعمل معاد للسوفييت .

(اضطراب وضحك في قاعة المحكمة)

القاضي : ليست هذه محاكمة أدبية ، ولسنا نريد ان ننحرف الى تاريخ الأدب .

د : انا اصر على مضيي في اثبات مشابهات أدبية .

القاضي : هل تريد ان تقارن « الرجل من ميتاب » بـ « ويجري الدون هادئا » هذا ليس تواضعاً كبيرا منـــك .

د : انا لا أقارن نفسي باي أحـــد آخر .

م : لماذا تكتب أشياء يمكن تفسيرها بانهـــا معاديـــة للسوفييت .

د : هل انت تسأل عنهم كلهم ، أم عن واحد معين ؟

م : تستطيع ان تخبرنا عن أي واحـــد منهـــم .

د : سأتحـــدث عن « اليدان » .

(« اليدان » قصة تروى بضمير المتكلم ، بواسطة أحد الاعضاء القدامى للبوليس السري ، وتفسر لماذا ترتجف يداه ولا يستطيع السيطرة عليهما، فعندما كان فتيا في الأيام الأولى للثورة ، كان عضوا في فرقة الاعدام التي كانت تعدم مناوئي الثورة . وفي يوم كان عليه ان يطلق النار على فريق من القسس، وكنوع من المزاح ، ملأ زملاؤه بندقيته برصاص فاسد، حتى يبدو ان القسس لا يؤثر فيهم الرصاص ، وقد أدى ذلك الى تحطيم أعصابه و كان عليه ان يترك الخدمة) .

د : ان هذه القصة هي تصوير أدبي لحادثة حقيقية سمعتها ، ان الاتهام يناقض نفسه عندما يتحدث عن هذه القصة ، فهو يقول ان الحكم السوفييتي لم يستعمل القوة ابدا . ولكن هذه النظرة هي غير علمية ، انها ليست ماركسية وليست لينينيـــة ، تبعا للينين فالثورة هي الزام والحكومة هي حشرية . هناك الزام القلة بواسطة الاكثرية . ان الاتهام يقول انني كتبت « الحكم السوفييتي اجبر الشعب » لا يوجد اي شيء مثل هذا في القصة ، انها عن اعـــدام اعـــداء الثورة .

القاضي : لماذا كان اعدام القسس مهما جدا بالنسبة لك في هذا الوقت ؟ لماذا كان عليك ان تحيي مثل هذا الشيء في مثل هـــذا الوقت ؟.

د : لم يكن لدى أي غرض سياسي عندما كتبت هذه القصـــة .

« ضحك في قاعة المحكمـــة »

م : دعنا نظن انك لم تفهم الصفة السياسية للقصة ، اذن لماذا ارسلتها خارجاً وتحت اسم مستعار ، وبواسطة طرق غير قـــانونية ؟

د : ارسلتها خارجا لكي تطبع ، وهذا كان سبب جيد بالنسبة لي ، لو كنت طبيباً أو مهندساً لكنت طبعتها تحت اسمي الحقيقي ، ولكنني مترجـــم وللحصول على عمل لمترجم مثلي يقتضي هذا الابقاء على علاقة جيدة مع بيوت النشر ، لـــو عرف انني كنت انشر كتبي خارجاً لفقدت عملي كمترجم ، وعندما اعطيت اعمالي ليلتيبه لم اكن اعرف اين ومتى وفي أي بلاد ستنشر . ان المرحلة النهائية لكل عمل أدبي هو النشر . تستطيعون ان تفسروا هذا كما ترغبون .. غروراً أو كبرياء متزايدين . ولكن لو كنت طبيباً أو مهندساً لما استعملت اسماً مستعاراً . لقد سبق ان قلت انني فكرت ان هذا لم يكن عملا اخلاقياً .

م : لقد اردت ان تنشر ، ولكن الم تفكر باعدائنـــا ، وامكانية استخدام هذه الكتابات كدعاية ضدنا ؟

د : لم أفكر في هـــذا .

م : ومتى فكرت ؟

د : بعد سنة ١٩٦٣ عندما رأيت كتابين لي لاول مرة احدهما بمقدمة لفيلوبوف ، عندئذ ادركت أي نوع من البناء قد وضع عليهما ، ولكن على الرغم من شكوكي ، ارسلت مسودة كتاب آخر الى الخارج ، ولكن منذ سنة ١٩٦٣ لم اكتب ولم ارسل أي شيء الى الخـــارج .

« واجابة على اسئلة أخرى يعطي دانييل دوافع أخرى لتوقفه عن ارسال كتبـــه الى الخارج »

د : لقد احسست انني لم أعد شجاعاً كما كنت في البداية ، لقد فقدت الشجاعة بسبب الخطر الذي كان يهدد عائلتي .. الانسان لا يشعر بالشجاعة عندما يفكر في عائلته ، واما اعتبار الضرر الذي لحق بالحكومة فانا لا أعتقد ان بضعة كتب لنا أو حتى مجموعة من الكتب يمكنها ان تلحق ضرراً معتبراً بهـــا .

جون دوس باسوس

لعل فيما يذهب اليه الناقد الامريكي المعروف « جون رن » (١) من ان جون دوس باسوس هو بحق تليماخوس العصر الحديث (٢) ما يحفزنا الى التعرض لحياة ذلك الاديب الفنان .

بقلم

محمد سامي فريد

ولد « جون روديريجو دوس باسوس » في الرابع عشر من يناير عام ١٨٩٦ ، في احد فنادق شيكاجو ، وكان الابن غير الشرعي لجون راندولف دوس باسوس المحامي الذائع الصيت ، ولوسي اديسون سبريج الارستقراطية المحتد . هذا ، وقد ساعدت بعض سمات بيئته العامة وهو في باكورة حياته على تشكيل فنان المستقبل . وبالرغم من ان جون دوس باسوس الطفل لم يع شيئا من احداث الساعة لعام ميلاده ، فانها كانت دلائل هامة على الوقت الذي ولد فيه ، فقد اخذ المجتمع الامريكي في ذلك الحين يتحول في طابعه الى مجتمع يتمركز في المدن ، وكانت معرفة الامريكيين بعالمهم الذي يعيشون فيه ، وخاصة في ما يتعلق بكيفية استغلاله لتحقيق كسب مادي ، في ازدياد سريع متلاحق . وكانت امريكا قد بلغت قبل ذلك بنصف قرن اوج توسعها الاقليمي والزراعي فبدا العالم المثالي وقد تحقق في نظر الراضين قريري العيون ، اما من لم يكتمل رضاهم فقد رأوه في ضمير المستقبل القريب ، فراح الامريكيون يعبرون عن تفاؤلهم في لهجة من المثالية ، فمن قومية ثقافية واتجاه نحو التعمير ، الى توسع واصلاح. ثم كان ان حولت مسألة الرق والحرب المكسيكية جانبا كبيرا من تلك المثالية — التي راحت تزداد وضوحا وجلاء — الى موجة احتجاج عارم تلقفها اخيرا ، بحكم طبيعة الامور ، جماعة انصار تحرير العبيد وآلت في اخر مطافها الى ذروة من الانقسام ، ومن ثم الى الحرب الاهلية . وفي اواخر هذا القرن (١٩) فتحت التكنولوجيا الصناعية ، والمعرفة العلمية ، بداية آفاق جديدة رحبة فاستقبلها الامريكيون بانتهاج سياسة التوسع والاغراق في المثالية من جديد بروح طابعها التفاؤل ، ولكن يعيد

والحاجة الى الانتماء

التاريخ نفسه فينحرف هذا الاتجاه ، فبعد ان كان اتجاها متسما بكثير من التفاؤل والوضوح اذا به ينقلب الى موجه احتجاج ضد الاستعمار المالي والصناعي والاقليمي وضد استعباد الالة للانسان ، على انه لم يقبض في هذه المرة لواحدة من هذه القضايا جماعة واحدة تكون بمثابة لسان حال لها . وما ان جاء عام ١٨٨٦ حتى كان جون راندولف دوس باسوس الاب قد وقف الى جانب اتحاد الراسمالية والصناعة والذهب ، وهو الفريق الفائز في انتخابات ذلك العام لرئاسة الجمهورية ، فقد كان صديقا شخصيا لماكينلي المرشح الذي تولى الدعاية له في المعركة الانتخابية في بنسلفانيا وفرجينيا في نفس العام ، ثم نبه ذكره في الثانية والخمسين من عمره كمحام في قضايا الجنايات ، وكان من الطليعة في تنظيم كبرى المواثقات (٣) وتنميتها .

هذا هو دوس باسوس الاب الذي تشف عنه بسهولة كتابات ابنه اذ يظهر باسم « جاك » في ثلاثية « الولايات المتحدة امام عدسة الكاميرا » ١٩١٨ — ١٩٣٠ وتتكون من ثلاث قصص مختلفة ، هي : خط العرض ٤٢ » ، عام ١٩١٩ والمال الكثير . الا انه يربط بينها موضوع واحد هو الولايات المتحدة كمجتمع يسوده الفساد والانحلال ابان العقود الثلاثة الاول من القرن العشرين ، ويلجأ دوس باسوس في سردها الى بعض وسائل فنية منها « شريط الانباء News Reel » وذلك بأن يملأ الصورة الخلفية من قصته بمقتطفات من اخبار الصحف والمقالات والاعلانات والاغاني الشعبية والسير ليهيىء بها الجو والزمن الذي يبتغيه لاحداث قصته ، ومنها كذلك « عدسة الكاميرا Camera Eye » وتمثل اراء الكاتب في صورة انطباعات تتوارد في خواطر متتابعة ، او صورة سرد قصصي سريع لسلسلة ذكريات هي اشبه شيء بلقطات متلاحقة . كما يظهر هذا الاب كذلك في قصة « الوطن المختار » عام ١٩٥١ ، باسم « داندي » او « جيمس فوكس بولك بيناتلي » ، وكلها تصوره رجلا قديرا ، فهو قوي البنية ، يهوى السير على الاقدام والانطلاق بزورقه ، ويثير الاعجاب ببراعته في السباحة ، وكان رجلا ذا عقلية جبارة ، وخطيبا مفوها ، ومحاميا مبرزا صلب العزيمة ، كانت حياته مثالا لقصة نجاح ، فقد استطاع ان يفرض نفسه على المجتمع الصناعي المنطلق الذي عاش فيه ، سبيله في ذلك اقدامه وهمته ، وكان ، وهو ابن حذاء برتغالي ، يكن في نفسه شيئا من الاعتداد بتقاليده ، فقد سمى ابنه « جون روديريجو » ونستطيع ان نتصور مقدار زهو رجل له مثل شخصيته المنطلقة المنبسطة وتوقد ذهنه وسلامة آرائه حال مولد ابنه ، وامله المتلهف في ان يثبت ذلك الابن في مستقبل ايامه انه قد صار صورة اصيلة لابيه . الا ان ما ورد من سيرته في مذكرات ابنه يكشف عن خيبة امل محققة مهتوكة الاستار ، فقد رأى فيه صبيا كليل الابصار ، سريع الارتباك ، نزاعا الى الاستبطان ، وربما وجدنا في قصة « الوطن المختار » ما يشير الى هذا اذ يقول

---

(١) John Dos Passos, by John H. Wrenn. Twyne Publishers Inc. N.Y. 1963

(٢) تليماخوس هو ابن اوديسيوس من بنيلوبي (اوديسة هوميروس) .

(٣) المواثقات ومفردها « مواثقة » وهي شركة مؤلفة من عدة شركات من نوعها (Trust) لاحتكار بيع او صناعة سلعة معينة .

جون دوس باسوس

« ... ولكن مسيو داندي قال انه لا بد ان يتعلم السباحة ، ثم اطبق عليه بيد من حديد .. كان موقفا القى الرعب في قلبه فراح يعوي ويتشبث بالذراع العاتية ، فاستشاط مسيو داندي غضبا . » هذا عن ابيه ، اما عن امه فكانت سيدة من الجنوب ، سليلة اسرة من مستوطني ولاية مريلاند ، عاش ابوها — كما يقول دوس باسوس — في فرجينيا وكان يعمل مهندسا في خدمة ولايات الجنوب ابان الحرب . وكان شعورها بطبقتها عميق التغلغل في نفسها ، الامر الذي ترتب عليه انعكاس وجهة نظرها نحو من هم دونها طبقة ، وقد انعكست كل هذه الانطباعات الى جانب العديد من مشكلات بيئته على سيرة حياته في ثلاثية «الولايات المتحدة امام عدسة الكاميرا» تلك الثلاثية التي اصطخبت بفيض من ذكريات متواردة حتى ليظنها البعض تقويما مسلسلا للاحداث ، وقد وقع دوس باسوس الشاب تحت تأثير عدة مؤثرات من الجائز انها انمت فيه عجزا متزايدا عن مشاركة امه موقفها حيال الطبقة الدنيا ، بل وانمت فيه كذلك كلفا بسبر غور المعاني الحقيقية للاشياء .. لاقوال الناس وافعالهم ، هذا ، ومن الجائز ايضا انه اكتسب من جده لابيه احساسا لاتينيا مرهفا ، ينزع الى الانفعال العاطفي ، كما اكتسب من ابيه ذهنا وقادا يلتقط الهام من التفاصيل ، كل هذا كان كفيلا بان يجعله دائم البحث عن مجتمع افضل ، ونهج للحياة اسلم واقوم . زد على ذلك انه ورث اسما لاتينيا (جون رودريجو) في مجتمع تسلط على افراده تعصب متأصل ، كما كان الحال من امر امه ، فلم يختلطوا بغير ذويهم واقرانهم ، ولم ينفكوا يصرون على انهم سليلو خير الاسر ، وسلالة خير الاجناس ، وابناء خير الجنسيات ، ... الخ ، حقا ، لقد اولى ابوه امر تعليمه عناية كبرى ، وتوخى الدقة في تزويده باحسن ضروبه ، الا ان دوس باسوس ذلك المحامي المرموق المكانة ، كان يشعر شعورا صريحا انه لم يكن على استعداد لاشهار اعترافه بابوته له ، فظل الصبي ولا يقين لديه حتى من مجرد اسمه ، ولعل هذا يذكرنا بجواب « تليماخوس » في اوديسة هوميروس ردا على سؤال « اثينا » الهة الحكمة له : **« اخبرني بما سأسالك عنه . هل انت حقيقة اوديسيوس نفسه ؟ »** اذ يقول :

« تقول امي انني ابنه ، ولكنني لست اعرف هذا ، فما من انسان — حتى الان — قد عرف سلسلة نسبه من تلقاء نفسه »

. . . . .

وانسلخت السنون وبلغ الخامسة عشرة ولكنه كان حتى ذلك الوقت يروح ويغدو باسم « جون رودريجو ماديسن » مدة الثلاث سنوات والنصف الاخيرة وهو في مدرسة تشاوت الاعدادية بنيو انجلند . ولعل لقصر نظر الصبي ، الذي لازمه منذ ولادته وطفولته التي لم تعرف استقرارا ، ابلغ الاثر في تشجيع عادة التقاطه للجزئيات قبل تفهمه للكليات ، واذا علمنا انه بدأ حياته في احد الفنادق بشيكاجو وتنقل في طفولته كثيرا في احدى العربات التي تجرها الجياد ، وانه زار المكسيك وانجلترا وبعضا من بلاد اوروبا ، وانه عاش جل وقته مع امه او مع مربيته او بين صديقات امه ، او في واحدة من المدارس الداخلية الخاصة اثناء تغيب والديه وهما يقومان برحلاتهما ، لفهمنا كيف نما عقله وكيف نمت آراؤه وتصرفاته في استقلال نسبي عما كان يمكن ان يكون تأثير الاسرة ، وهي نظام لم يعرفه حقيقة ابدا . نشأ « جون رودريجو دوس باسوس » محروما من ذلك الشعور بالطمأنينة في كنف عائلة مستقرة او بيئة مستتبة مألوفة ، ولم يكن يعرف من ابيه الا رجلا يعبده وهو بمنأى عنه ، وكأنما هو اله يتجلى بين الحين والحين . لا عجب اذن ان صار ذلك الطفل — القصير النظر — خجولا شاعرا بذاته ، شديد الحساسية اذ يتصل بغيره ، دائم الاستعداد للاستجابة ، بدافع فطري وبقوة جارفة ، لكل من كان يمكن ان يتبادل واياه المشاعر والافكار . كان ، وهو ذلك الطفل الضائع ، كنبت لا جذور له ، وقد ولد ذلك فيه فيما بعد تشوقا الى شيء ينتسب اليه ، شيء يؤمن به وينتمي اليه .

وهذه الحقيقة كانت احد العوامل المهيمنة في توجيه مستقبله ، ذلك انه ولد ولا جذر له في بقعة معينة ، لذا ، فقد دأب يبحث وينقب عن تربة ومناخ ملائمين ، عن ارض جديدة يقف عليها او يترعرع على ثراها . يقول في وصف بطل قصته « الوطن المختار » : —
« يا لها من طفولة مريعة .. طفولة فندق .. كان يبدو كغريب ، واي غريب ، في نظر هؤلاء الصبية من الانجليز وهم في قبعات مدارسهم ، واربطة اعناقهم الخاصة : رجلا بلا وطن .. ترى ، اكان ذلك الحاجز المشؤوم ام قصر نظره ذلك الذي كان يدعوه الى تحسس الكرة دائما ؟ ما كان ابلده كلاعب تنس ! وكذا كرة القدم ما كان يجيدها ، ام ذلك اللسان الاجنبي ، ام الافتقار الى حياة الاسرة ذلك الذي كان يربكه ويعقد لسانه فلا ينطق بالكلمة الصحيحة ابدا ، ولا يفعل الشيء

المطلوب في حينه اطلاقا .. لذا ، فقد كرّس طيلة حياته كل شيء خلا امه رشيقة القد » . وهذه الفقرة وان كانت من نسج خياله ، الا انها تتضمن بصورة قاطعة ، وفي كل عبارة من عباراتها وصفا بلغ من الدقة منتهاها عن حياته هو . لا شك ان صبيا كهذا يستطيع دون جهد ان يقرن نفسه بالمظلومين من ابناء وطنه ، فقد حرم من ذلك الشعور بالانتساب ، وهو شعور يستمده معظم الصبية من البيت ، ومن محيط لداتهم بين الاصدقاء ، ويزيد هذا الشعور وينقص بقدر ما يكون عليه هذا المحيط من ترابط وتماسك ، فكان على «دوس باسوس» ، والحال هذه ، ان يبحث عنه في محيط اخر ، ولا شك انه ما من شعور بانتساب ، اقوى من مشاركة المظلومين افكارهم ومشاعرهم ، ولا شك ايضا ، وقد عرف عنه حبه للقراءة لدرجة الاغراق فيها، لا شك انه قد وجد في ما قرا من قصص كبلينج ، وكابتن ماريات ، وسير والتر سكوت ، وسير توماس مالوري، ودوماس ، ومارك توين ، اماكن واوقات اكثر اسعادا لنفسه ، ومتنفسا يزيح به عن صدره شعوره بالوحدة التي ابتليت بها طفولته ، فكان من الطبيعي اذن ان يتجه بكل جارحة فيه الى الكتب ومعارض الفن حيث يرخي العنان لنفسه ليجوس خلال عالم الجمالية وما يلازمها من بوهيمية ، وكانت النزعة الجمالية عند « دوس باسوس » لما تزل مجرد بديل للعمل ولو انه لم يكن في يوم من الايام بوهيميا قحا ، ذلك انه بينما كانت البوهيمية تمثل — كجانب من جوانبها — احتجاجا صادقا ضد حرفية التمسك بالتقاليد ، فانها لم تكن انغماسا في النهم الحسي الخالص لذاته فحسب ، بل كانت ايضا لفتة من التعاظم الفكري يستهدف بها السواد الاعظم من الناس .

والتحق « دوس باسوس » بكلية هارفارد عام ١٩١٢ رغما عنه واذعانا لمشيئة ابويه ، وفي مجلتها الشهرية نشرت اولى قصصه ، ومن هنا بدأ نجمه في البزوغ وتوالت قصصه وقصائده وعرضه للكتب . وكان من طلبة هارفارد في ذلك الحين « ريتشارد دانا سيكنر » وكان رئيس تحرير مجلتها ، و « ادوارد استلين كمنجز » ، و « مالكولم كاولي » الذي صار فيما بعد ناقد ومؤرخ جيله ، وكذا « ارشيبولد ماكليش » الذي نال جائزة البوليتزر عام ١٩٣٩ تقديرا لشعره .

صادف هؤلاء الشبان ، وكانوا قلة ، ازورارا ممن حولهم ، وكانت اتجاهاتهم تتشبه في مجملها اتجاهات « دوس باسوس » ولعل انضواءه تحت لوائهم ، او تحت لواء بعضهم ، كان مرده حاجته الشخصية الى مثل هذا الحلف ، بقدر ما كان التقاء تاما بينه وبينهم في الافكار والمعتقدات اذ ان دوس باسوس شأنه شأن معظمهم لم يتلاءم وحياته كطالب جامعي .

هؤلاء الشبان الذين لقبتهم الكاتبة الامريكية المعروفة « جرترود شتاين » بالجيل الضائع هم وسواهم من المفكرين الواقعيين الذين ينتمون الى سنوات ما بعد الحرب العالمية الاولى ، ونعتهم « كاولي » بجماعة « المنفيين » الذين راوا في الحرب سلسلة من الاهوال والحقارات التي تحط من قدر الانسان بدلا من ان تكون صراعا من اجل المبدا او المجد ودفاعا عن المثل والقيم الاخلاقية ، وكان هذا كفيلا بان يسلب كل شيء في نظرهم معناه ، فانشقوا على القيم القديمة ونبذوها ، الا انهم فعلوا ذلك قبل ان يجدوا لهذه القيم بديلا ، فشعروا وهم في عالمهم ذلك بضياع وحيرة وغربة دفعتهم الى البحث عن دعائم وجذور لهم في بقاع وفي قيم اخرى .

وهكذا ظل دوس باسوس حتى ذلك الوقت يرى ان مثله ما تزال بعيدة المنال ، لذا فقد بقي على حاله لا ينتسب لهذا الشيء او لذاك ، فلا انتساب الى اسرة ، ولا انتساب الى هارفارد ، ولا انتساب الى طبقة من الطبقات ، بل ولا انتساب حتى الى وطن . من هنا بدا يتضح له بجلاء ان عليه ان يعول على نفسه في اقامة دعائم هذا الانتساب ، وما كان الامر ليقتصر على هذا الاسم او ذاك : مجرد اسم يطلقه على نفسه كأن يسمي نفسه « امريكيا » او « فنانا » او حتى «دوس باسوس» بل كان عليه ان يكتشف بنفسه انه قادر على ان يقبل ما لهذا اللقب او ذاك من حقوق ، وما يتبعه من واجبات، وان يجتاز اختبارات العضوية في ما انضوى تحته ، وحينئذ قد يتحرر في اخر الامر من فوضى الافتقار الى الانتساب .

وفي ابريل من عام ١٩١٦ ، ماتت امه ، وبالرغم من ان موتها كان بمثابة تحرر له من سلطانها عليه فانه كان صدمة عنيفة له ، وكان قد لازمها ملازمة الالف لاليفه فصارت جزءا منه لا يتجزأ .. كان في ذلك الحين لما يكد يتخرج من كلية هارفارد — وبامتياز — فهب يقيد اسمه للخدمة في الصليب الاحمر فيما وراء البحار ، رغم كامل علمه بالحرب وويلاتها ، ولما كنا نعرف اصول ماضيه فليس بمتعذر علينا اذن ان نرى في تطوعه هذا دافعا اقوى من مجرد ولوع فنان بالمغامرة والهرب من السأم ، وهما الصفتان اللتان يقول بهما « كاولي » كطابع سلوكي يميز طائفة « المنفيين » . ولعل دوس باسوس يطلعنا بنفسه على هذا الواقع .. يقول في افتتاحية كتابه « روسيناتي يعاود الرحيل » :ـ **«ووغل تليماخوس يجوب الافاق بحثا عن ابيه حتى نسي ما كان يبحث عنه »** . وكيفما كان الامر فقد كان تليماخوس

البقية ص ٦٢

انباء ادبية

قالوا في البيان

● أشادت معظم الصحف والمجلات العربية ورجال الفكر والادب في العالم العربي بمجلة البيان ، فقد كتبت جريدة الصباح التونسية يوم ٢١-٧-٦٦ ما يلي :

« أصدرت رابطة الأدباء الكويتيين مجلة باسم – البيان – تصدر شهريا تختص بشؤون الفكر والأدب وقد وصلتنا اعدادها الأولى الثلاثة فوجدنا بها بحوثاً شيقة بأقلام رصينة ، وحمدنا لأدباء الكويت هذا العمل الذي يطلعنا على النشاط الفكري في ذلك الجانب من وطننا العربي ، والمجلة مفتوحة للأقلام العربية من كل مكان . وفيها للاديبات مجال . » وقدمت الجريدة التونسية تمنياتها لمجلة البيان بالنمو والتقدم .

● وقد وصفت مجلة الاديب المعروفة العدد الثالث الذي ارسل لادارتها بانه عدد حافل بمختلف البحوث والمقالات المتنوعة القيمة .

● ومن ضمن الكتب الموجهة لادارة تحرير المجلة رسالة سعادة الحاج عبد الحميد نعمان سفير الجمهورية العراقية الشقيقة في الكويت وقد جاء فيها :

« **لقد استلمت العدد الأول من مجلة البيان الغراء بكل اعتزاز وتصفحتها وقرأتها فوجدتها بحق مجلة الأدب والفكر الرفيع واني على يقين ان كل أديب وشاعر ومن يتذوق الأدب سيجد ضالته فيها .** »

● ومما جاء في رسالة الاديب الاردني البدوي الملثم قوله : لقد هزتني مجلتكم بآفاقها المترامية ، ومعالجتها لأدق المشاكل الادبية الحديثة .. كما وردتنا رسائل من تونس وليبيا ولبنان والعراق وسوريا والأردن والبحرين والجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية كلها تشيد بمجلة البيان وانا نتقدم بعميق شكرنا وتقديرنا لكل أولئك الافاضل الذين نعتز بثقتهم ونرجو الله ان يوفقنا في خدمة امتنا والمساهمة في رفع راية الحق والخير والجمال .

●● قام الاستاذ فاضل خلف الملحق الثقافي بسفارتنا بالجمهورية التونسية بمجهودات أدبية طيبة في « تونس » ، ومنها توزيع أعداد من مجلة البيان على عدد من الأدباء والشعراء ورجال الفكر من جملتهم الشاعر التونسي المشهور محمد مزهود القيرواني ففاضت قريحته بهذه القصيدة التي تفضل الاستاذ فاضل فبعث بها الينا .

والبيان تشكر للاديبين التونسي والكويتي أريحيتهما واعجابهما . راجين ان نكون عند حسن ظن الجميع والله الموفق .

هدية وردت من « فاضل خلف »
دلت على أنه من أفضل الخلف
وافت كما أشرق الأصباح مبتة
ان « الكويتي » ذو نبل وذو شرف
في حلبة الفكر ما زالت سوابقه
لم تشو قصدا ولم تخف عن الهدف
هذي « البيان » بها أتحفت من قدر
فبات عندي حقاً ابهر التحف
الطرف جال بها فارتد يجذبني
اليه كل الذي ضمته من طرف
لا تعجبوا ان أقل اني شغفت بها
وبالذي قد حوته ايما شغف
فالفكر أضفى عليها من طرائفه
غلائلا وحباها كل مؤتلف
والبحث زان حواشيها تدبجه
أقلام طائفة زهر الحجى رهف
صحائف غيرها في الصحف ما ملكت
قلبي على طول ما قلبت من صحف
ما شئت من أدب غض ومن قصص
ومن قريض بدا كالدر في الصدف

.. ارسلت وزارة الارشاد والانباء بعض الاشرطة المسجل عليها الموسيقى الكويتية الى منظمة الطلبة العرب في نيويورك وذلك تلبية لرغبة المنظمة المذكورة ..

.. ارسلت الجامعة العربية الى الجهات المختصة بالكويت مذكرة تطلب فيها موافاتها بنماذج عن الأدب المعاصر في الكويت تمهيداً لقيام الجامعة العربية بنشر ذلك في كتاب يجمع دراسة الأدب المعاصر والادباء في مختلف البلاد العربية .

.. بعثت وزارة التربية الى زميلتها في تونس عشرة البومات لارسالها مع بعثة طلبة المعلمين الى الجمهورية التونسية . كما بعثت ٥٠٠ كتاب للمطبوعات والدعاية عن الكويت وفيلماً سينمائياً .

.. ذكرت المصادر المسؤولة بانه قد تم التوقيع في بودابست على اتفاق ثقافي بين دولة الكويت وهنغاريا تتبادل بموجبه الدولتان الخبراء والفنيين والبعثات الطلابية في حقول العلم والثقافة .. وقد وقع الاتفاق معالي السيد خالد المسعود الفهيد وزير التربية الذي يقوم حالياً بجولة في عدد من الاقطار الصديقة للتوقيع على اتفاقيات ثقافية معها ..

وذكر ايضاً ان معالي الوزير قد وجه دعوة الى وفد هنغاري لزيارة الكويت وحضور حفل افتتاح جامعة الكويت في نوفمبر القادم ..

.. انهى الاستاذ عبد الله العتيبي دراسته الجامعية بحصوله على ليسانس في الآداب العربية .

مبروك ونرجو له التوفيق والنجاح في شق طريق المستقبل .

.. اكتشفت بعثة خبراء الآثار التي تقوم باعمال الحفريات في منطقة سخا مسرحاً اثريا متكاملا تتسع مدرجاته لعشرة آلاف متفرج ، ويرجح الخبراء انه يرجع الى العصور الفرعونية ، وقد بدأت لجنة خاصة في تحليل الرسوم والزخارف المنقوشة على اعمدته لتحديد فترة انشائه بدقة .

ويتوقع الخبراء ان يحدث هذا الكشف انقلابا في تاريخ المسرح ، اذ المعروف ان المسرح العالمي نشأ في اليونان ولكن الاكتشاف الجديد يفيد ان مصر هي أول دولة في العالم في تاريخ المسرح .

.. أجمع النقاد والفنيون في بريطانيا على ان جميع المسرحيات التي تعرض حالياً على مسارح لندن تدين المجتمع الانكليزي بالتفكك والانهيار والشذوذ والانحلال ..

واعترف النقاد البريطانيون بان عصر النهضة المسرحية في بلادهم بدأ بمولد جون أوزبون ككاتب مسرحي جاد صور في مسرحيته الاولى « أنظر خلفك في غضب » ثورة الشباب في مجتمعه على كل ما هو متعارف عليه من قيم ومبادىء ومثل ، ولكنهم أعلنوا ان هذه النهضة تحتضر حالياً على مسارح لندن نتيجة لاندفاع الكتاب الجدد وراء تصوير كل ما هو شاذ وغريب ومفاجىء ..

كما أعلن هؤلاء النقاد أنه في الوقت الذي ادان فيه لورد شامبرلين الرقيب العام على الفنون في بريطانيا الفرقة التي قدمت مسرحية « انقاذ » على الرغم من احتوائها على كثير من المناظر التي تصدم ابسط المشاعر الانسانية دفعت الحكومة لمؤلفها ادوارد بوند مبلغ الف جنيه استرليني لكتابة مسرحية أخرى ، وتصور مسرحية « انقاذ » عملية رجم طفل رضيع في عربته الصغيرة بالحجارة حتى الموت ..

تنضدت طاقة تسبي العقول كما
تنضد الفل للمشتم في السعف
تحيا بها انفس ظمآى اذا وردت
منها مناهلها لاذت بمزدلف
يا فاضلا سبر الاخوان معدنه
فلم يشف به ذام ولم يصف
ما كنت غير الذي يرعى ذمامهمو
رعيا ويحفظه عهداً لهم ويفي
هدية منك وافت قد كلفت بها
كما كلفت بذات الحسن والهيف
وقد شكرت لكم فضلا يطوقني
شكر امرىء لكمو بالسبق معترف

محمد مزهود القيرواني

ووردت الينا الرسالة التالية من تونس الشقيقة :

حضرة الاستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة البيان .
تحية واحتراماً وبعد ،،

أسعد « رابطة القلم الجديد » منظمة الأدباء التونسيين أنها تلقت منكم بواسطة الشاعر الكويتي المعروف الاستاذ فاضل خلف العددين الاولين من مجلة البيان ، التي أصدرها اتحاد الادباء الكويتيين . وهي اذ تشكر لكم هديتكم ، انما تشيد بالعزيمة التي تحملتم بها ثقل هذه المسؤولية في عهد الكويت السعيد ، من أجل خلق أدب يساوق التطور الذي تجتازه العربية الجديدة .

واعتقادنا ان « البيان » في مضمونه ، وأسلوبه ، واخراجه سيفتح بلا شك آفاقا جديدة في مستقبل ادبنا العربي. أملنا ان تكلل عزيمتكم بالفوز ، وان تصبح « البيان » نموذجاً تحتذيه منظمات الكتاب في البلاد العربية فيصدر الأدب بذلك عن منابعه .

رابطة القلم الجديد — تونس
الكاتب العام
محمد الصالح الجابري

.. اهدى الاستاذ عصام عسيران نسخة من مؤلفه الأول « الرمال والعيون » الى مجلة البيان وهو يضم عدة قصص من قلمه ، وقصصا اخرى مترجمة عن اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وطائفة من خواطره الخاصة .

.. كما اهدى الاستاذ اسماعيل فهد اسماعيل مؤلفه « البقعة الداكنة » وهو يضم مجموعة من القصص كتبت باسلوب بارع وتدل على موهبة أدبية ممتازة ..

.. صدر عن سلسلة « اعلام العرب » وفي شهر تموز كتاب « ابن حزم الاندلسي المفكر الاسلامي الكبير » تأليف الدكتور زكريا ابراهيم .

.. صدر للناقد رجاء النقاش في بيروت كتاب « أدباء ومواقف » وسيصدر له قريباً كتاب بعنوان « دراسات في أدب نجيب محفوظ » .

.. « ليل الغرباء » المجموعة القصصية الثالثة للكاتبة السورية غادة السمان ، صدر عن دار الاداب اسوة بكتابيها السابقين : « عيناك قدري » و « لا بحر في بيروت » وفي المجموعة لوحات للفنان فاروق البقيلي ، تقول المؤلفة : « انها ليست مجرد صور تزيينية ، وانما هي من صلب القصص ، انها بمثابة موسيقى تصويرية للقارىء أثناء مطالعته القصص » .

.. أصدرت دار « العلوم السوفياتية » ترجمة روسية لكتابين من التراث العربي هما « طبائع الاستبداد » لعبد الرحمن الكواكبي و « البخلاء » للجاحظ .

.. توفي المصور والنحات الفرنسي جان آرب ، من رواد الفن الحديث في العالم واحد مؤسسي الحركة الدادية .

.. يزور الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر والكاتبة الفرنسية المعروفة سيمون دي بوفوار الجمهورية العربية المتحدة في أول شباط القادم ويصحبهما في هذه الزيارة التي تمتد عشرين يوماً كلود لانسمان مدير تحرير مجلة العصور الحديثة .

.. « الامثال العامية في البلاد العربية » سيطبعها المجمع اللغوي في كتاب من اعداد محمد البقلي .

.. الكاتب الفرنسي البير بول لانتين الذي وضع من قبل كتابين عن حرب الجزائر أصدر كتابا جديداً عن « صراع دول العالم الثالث ضد الاستعمار » .

.. سافرت الادبية سلمى الحفار الكزبري الى باريس للاشراف على طباعة ديوانها . وقد كتب مقدمة هذا الديوان صحفي فرنسي معروف هو روجيه لوكات والديوان يحمل اسم « رياح الأمس » يحتوي على ثلاثين قصيدة من الشعر الموزون باللغة الفرنسية ، يصور لوحات مختلفة مستوحاة من انطباعات الحياة خلال فترة من الزمن وفي أول الديوان قصيدة عن دمشق .

وبهذه المناسبة ، فان آخر كتاب صدر لسلمى هو « القرية » يحتوي على مجموعة قصص ..

.. تصدر في بيروت رواية جديدة للكاتب العراقي الدكتور شاكر خصباك بعنوان « الحقد الاسود » .

.. صدر خلال الاسابيع الماضية كتابان جديدان للمفكر العربي عبد الله القصيمي هما « كبرياء التاريخ في مأزق » و « هذا الكون ما ضميره » اللذان اعتبرهما النقاد مع كتابه السابق « العالم ليس عقلاً » قمة من قمم الفكر العربي في جميع العصور .

.. شهدت مدينة أثينا في بداية الشهر الماضي بعثاً رائعاً لشاعرها الكوميدي القديم اريسطوفان . فعلى مدى ساعتين ونصف الساعة جلس اربعة آلاف وخمسمائة مشاهد في مسرح عمره ١٨٠٠ سنة حيث قدمت امامهم مسرحيته الشهيرة « الضفادع » التي شاهدها الاغريق لاول مره عام ٤٠٥ قبل الميلاد . وهذا العرض يدخل ضمن المهرجان السنوي الذي تقيمه أثينا ، أخرجه كارلوس كون احد مخرجي الطليعة المسرحية في اليونان .

رينيه ويج وهربرت ريد وجائزة من هولندا .

نشر هنري دولاكروا كتابه « سيكولوجية الفن » عام ١٩٢٧ . ومنذ ذلك الوقت وهذا العنوان يلقى رواجا كبيرا لدى مفكري ونقاد الفنون . فتحت هذا الاسم جمع الفريد مالرو دراساته في علم الجمال وتعميقا لهذا الاتجاه كرس المؤرخ الفني رينيه ويج عضو الاكاديمية الفرنسية منذ عام ١٩٦٠ حياته الفكرية كلها . وقد حصل اخيرا على جائزة ايرازم الهولندية تكريما له على مساهمته في تربية التذوق الفني للاعمال التشكيلية واشترك معه في تلك الجائزة واحد من اصحاب العقليات العالمية ذوي النزعة الانسانية هو السير هربرت ريد . في العام الماضي حصل على نفس هذه الجائزة الفنانان شاجال وكوكوشكا . ولذلك فقد قيل انه بعد ان حصل الرسامون انفسهم على الجائزة من الطبيعي ان يكون التكريم لاولئك الذين يساعدوننا على الحصول على معرفة داخلية عميقة باعمالهم .

وعند تسليم الجائزة اطرى الامير برنارد رئيس المؤسسة التي منحت الجائزة بالكاتبين الكبيرين اللذين اقتسماها وقال ان رينيه ويج مفكر متواضع خلف البصيرة واشاد بالقيمة الروحية في فكره وبشبابه العقلي الدائم . ثم ذكر السؤال الذي كان يلقيه ويج امام احدى لوحات الرسام الهولندي القديم تربير قائلا : « ايتها اللوحة لمن انت؟ » ثم توجه الى صاحب الجائزة وقال له: « لقد علمتنا كيف نرى » .

● بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة برتولد بريخت ، ستقدم فرقة « برلينر اونسامبل » التي اسسها بريخت نفسه ٣ مسرحيات له في الابينالي :

اوبرا الاربعة قروش ، صعود وسقوط ارتورووي ، كوريولان .

وتشترك في المهرجان فرقة ادنبورغ اذ تقدم « قصة شتاء » لشكسبير ويمثلها لورنس هارفي الممثل السينمائي . وتقدم فرقة فرنسية مسرحية « طرطوف » لموليير . اما فرقة المسرح القومي اليوناني فتقدم « العصافير » لارستوفان .

•• دعي الاديب الاردني عيسى الناعوري لزيارة ايطاليا في شهر آذار الماضي بدعوة من جامعاتها ، والقى فيها اربع محاضرات باللغة الايطالية : اثنتين في جامعة باليرمو في صقلية وواحدة في جامعة نابولي وواحدة في جامعة روما .

كما دعي مرة ثانية في شهر نيسان الى ايطاليا بدعوة من جامعة بولونيا للاشتراك في مهرجان الشاعر الايطالي الاعظم دانتي اليغييرى ، والقى محاضرة في مدينة البندقية بدعوة من جامعتها .

ومن نشاط الاستاذ الناعوري كذلك زيارته الى تونس وقد اشترك في مهرجانين شعريين ، ومنح وسام الجمهورية وقد نال قبل ذلك وسام الاستحقاق الجمهوري برتبة فارس من ايطاليا ، وتلقى دعوة جديدة للاشتراك في مهرجان دولي للمستشرقين يعقد في مدينة رافيللو في ايطاليا من ١–٦ ايلول لالقاء كلمة عن الشعر الاردني المعاصر وسيشترك في هذا المؤتمر ثمانون مستشرقاً من سائر انحاء العالم .

•• صدر في انكلترا عن دار « اكسفورد يونفيرستي بريس » كتاب بعنوان « تي آي. لورنس — وجهة نظر عربية » للكاتب الاردني سليمان موسى . وقد راجعه في الاوبزيرفر روبرت ستيفنز، وهو المحرر الدبلوماسي في تلك الصحيفة ، ومدير سابق لمحطة الاذاعة الفلسطينية ابان الانتداب البريطاني على فلسطين ، وفي مراجعته للكتاب ، قال ستيفنز :

« يقدم سليمان موسى صورة عن لورنس كحديث نعمة وقح ، كثير الاغترار ، أستغل علاقاته بذوي المراكز العالية ، أولا ليجد ملجأ لنفسه في وظيفة مكتبية ، خلال العامين الاولين من الحرب العالمية الأولى ، ثم ليرفع نفسه خلسة الى منصب عند « كورع فيصل » في الثورة العربية . وهناك ادعى لنفسه نفوذا لا يملكه ومغامرات شجاعة خارقة لم يقم بها .. »

ولكن ستيفنز يقول : ان هذه الصورة غير مبنية على أي اساس ، وفي الاخير يقول :

« ان الكتاب يستحق ان يقرأ على نطاق واسع » لكنه يضيف : « ان هذا الكتاب يساعد على فهم عرب اليوم اكثر مما يساعدنا على فهم لورنس الامس » .

•• صدر حديثاً في باريس للمستشرق الفرنسي المعروف ريجيس بلاشير كتاب « تاريخ الادب العربي منذ أصوله حتى القرن الخامس عشر » والمستشرق بلاشير من دارسي المتنبي وناقلي شعره الى الفرنسية ، ومعروف بترجمته القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية ..

الشاعر العجوز يعود للغناء

في البداية كان صوته خافتا ومهدجا ولايكاد يسمع ، وكلما مضى في القراءة كان يستعيد قوته وثباته حتى انه في النهاية كان يرتل كل مقطع من مقاطع شعره بوضوح وكأنه يغنيه ..

« العلماء أدركهم الفزع والعقل الاوروبي يتوقف عن العمل . »

كان يتلو هذه الكلمات من أحد اعماله الشعرية التي لم تكتمل بعد والتي بدأها كما قال أحد اصدقائه منذ خمس أو ست سنوات . واستمر يقرأ :

« عندما يحمل اصدقاء الانسان العداوة بعضهم لبعض فكيف يمكن ان يوجد سلام في هذا العالم ؟ . كانت غلظتهم تسليني في زماني الاخضر .. لحاء اسمر حانت نهايته لكن الضوء لا زال يغني غناء سرمديا .. الزمان المكان ، لا الحياة ولا الموت يجيبان عليهما الناس يسعون وراء الخير ويقترفون الشر ، حيث سار الموتى ، ومن الورق المقوى صنع الاحياء »

وبعد هذا قرأ أيضاً بعض المختارات من النشيد الثالث عشر أحد أناشيده المشهورة.

هذا هو الشاعر الامريكي العجوز ازرا بوند (٨٠ سنة) الذي قضى معظم سنوات عمره في حالة هجرة دائمة ، ويعيش الان في مدينة البندقية بايطاليا .. هذه القصائد القاها بمدينة سبوليتو بعد صمت طويل في أحد المهرجانات الشعرية ، قدمه شاعر انجليزي بقوله « العامل الوحيد المهم في الشعر الحديث المكتوب باللغة الانجليزية . »

وقد عاش بوند معظم فترة حياته وشبابه في اوروبا وكان مؤسسا لاتجاهات وحركات عديدة وخصوصاً في المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الاولى ، وفي كثير من السنوات التي تلتها . صادق في فرنسا وايطاليا عددا كبيرا من الشعراء والكتاب ، وأثر فيهم خلال العشرينات والثلاثينات والاربعينات عاش في ايطاليا أثناء الحرب الاخيرة ، قبض عليه بعد الهدنة الايطالية واتهم بالخيانة ، ولكنه بدلا من المثول أمام المحكمة ارسل الى مستشفى سانت اليزابيث بواشنطون بدعوى ان قواه العقلية غير سليمة وخرج منه عام ١٩٥٨ . وكان يلتزم الصمت طوال هذه الفترة في منفاه الاختياري بالبندقية حتى خرج عنه في الشهر الماضي عندما دعي لالقاء بعض اشعاره على الناس وقبل الدعوة .

ماذا تقرأ الشبيبة الجزائرية

الجيل الجزائري الطالع رصين وجاد في ثقافته . هذا ما اثبته استفتاء اجرته مجلة «المجاهد» الجزائرية بين الكتبات .

فقد دل الاستفتاء على ان الشبيبة الجزائرية تقرأ في الدرجة الاولى الكتاب الكلاسيكيين :

ستاندال ، فيكتور هيغو ، بلزاك ، زولا .

ومن المعاصرين جاء في الطليعة: سارتر، سيمون دو بوفوار ، كامو .

ومن الكتاب الجزائريين : كاتب ياسين ، مولود فرعون ، مولود معمري .

ومن الكتب المدرسية تاتي الكتب العلمية في المرتبة الاولى ، ثم الطب ، فالحقوق .

واكد الاستفتاء ان الناشئة الجزائرية تقبل على الكتب والمجلات الرصينة ، اكثر من اقبالها على الروايات البوليسية والخيالية .

بريد البيان

بإشراف

هداية سلطان السالم

في بريد البيان هذا الشهر رسائل كثيرة ، اكثرها من الخارج . شبابنا الذين يقضون اجازاتهم خارج الوطن ، بعث كثير منهم برسائل ، ومقالات تختلف اسلوبا وفكرا ولكنها تلتقي عند نقطة واحدة ، حب الوطن والحنين اليه والاشتياق الى ربوعه.

اكثر من واحد كتب يقول : ان الجبال والوهاد والاشجار والينابيع والمرابع جميلة ، ولكن للجهرة والفنطاس في نفسه سحرا دونه كل سحر ، حتى البلدة داخل السور بما فيها من بيوت الطين التي تنتظر دورها في الهدم ، والازالة لها عندي طعم ورائحة مميزة وحب اصيل .

هكذا نحن لا نعرف مقدار ما نحب بلدنا الا عندما نسافر الى الخارج ويصبح في اذهاننا صورة حلوة تشدنا الى مرابع الطفولة .

انا افهم هذا الشعور ، احسه تماما ، فلقد عشته في كل مرة غادرت فيها الكويت لبعض مشاغلي . فما اطقت ابتعادا ولا اصطبارا ، بل رددت قول شوقي في سينيته المشهورة ونازعتني حتى في الخلد اليه نفسي .

وفيما يلي جولة سريعة مع بعض الرسائل التي تلقيناها .

●●●

السيد علي محمد ـــ لبنان :

اعتقد ان البيان تباع في لبنان في عدد من المكتبات ، قولك انك لا تجدها مع باعة الصحف ربما كان مرده الى ان الكمية المخصصة للبنان محدودة ، وتنفد في وقت قصير .

●●●

السيد ابراهيم محمد اصلان ـــ امبابة ج٠ع٠م :

قصتك القصيرة «وقت للكلام» وصلت الينا وحولت الى هيئة التحرير لابداء الراي .

●●●

الاخ محمود علي غانم ـــ الكويت :

ما كتبته عبارة عن كلمات جميلة معبرة تصف فيها جمال البطلة وحشمتها وتفانيها في عملها وهذا كل شيء . . ماذا تريد ان تقول ؟ القصة ينقصها الحدث ابتعد عن الاسلوب المباشر في المستقبل .

●●●

السيد صالح خالد العلي ـــ الكويت :

يسال : كيف نرقى بالادب في الكويت والشرق ؟

ان معنى الرقي يا اخ صالح يحتاج الى تحديد ، فالشيء الراقي في نظر الاقدمين غير الراقي في نظر المحدثين ، ولكل زمان مقتضياته ، ولكل زمان ادبه ، وادب هذا الزمان من دلائله ، انه يروج بين اهل هذ الزمان ، ولا بد من رواج الادب بين اهل زمانه حتى يستطاع الاخذ في تحسينه وتجديده مثله في ذلك مثل السلع تماما ، كالملابس والاثا والاطعمة .

وقد يسبق الصانعون زبائنهم في ذلك فيصنعون السلعة الغالية الفاخرة ، التي ارتفعت فوق تقدير اهل العصر فتكون عندئذ لا للشر ولكن للعرض .

كذلك الاديب وصانع الادب وبائعه ، يستطيع ان يصنع ويعرض ما هو للشراء ، وما هو للعرض فالذي للشراء هو الذي يقراه الناس وهو الشيء الحي في الادب ، اما الذ هو للعرض ، فلخزائن المعارض ح الجيل منه ، ولا سيما حظ الاجي القادمة ، هو الفخار كالحظ الذ تكسبه من المومياءات تماما .

وانت تستطيع ان ترقى بالادب الاول بوسائل ظاهرة اولها المال ، وهو موفور لان الشعب يدعمه . اما الادب الثاني ادب الخزائن فالرقي به لا يضمنه الا عبقرية تثور بصاحبه، فينتجه كما ينتج الفنان ولو على الخسارة ، ويتذوقه من اهل الجيل نفر قليل .

●●●

الانسة عزيزة علي صالح ــ الاحمدي:

لا شكر على واجب يا اخت عزيزة . فمجلة البيان ، تعبير عن نهضة الادباء ومبادرتهم الى حمل مسؤولياتهم كاملة . اما بالنسبة لسؤالك الذي تقولين فيه ، من الذي قسم اليوم ٢٤ ساعة ؟ فاليك جوابه:

ان فكرة تقسيم اليوم الى ساعات ــ ٢٤ ــ او غير ذلك فكرة ليست بعيدة القدم ، اقصد بالنسبة لتاريخ البشرية العتيق ، فمن المأثور من منطوق الانسان تعبيرات تفيد ان الانسان كان يقيس الزمن بما تستغرقه منه اعمال مألوفة في المكان المألوف ، كأن يقول « زمن ما بين النهر والجبل » يقصد المدة ، التي يستغرقها الانسان في قطع تلك المسافة ، او « وقت سلق حزمة من الخضروات » يقصد نحو الساعة او « وقت قلي جرادة » يقصد برهة قصيرة ، والشاعر الاغريقي هومر كان يعبر عن المساء بقوله « زمن رفع النير عن الثور » .

والذي اعرفه عن تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة هو ان قدماء المصريين قسموا النهار الى ١٢ ساعة وقسموا الليل الى ١٢ ساعة ، وقد وجد المنقبون في مقابرهم رسوما حاولوا فيها تصوير مواقع النجوم في كل ساعة من ساعات الليل الاثنتي عشرة

وكانوا يقيسون ساعات الليل بالساعة المائية ، وساعات النهار بساعة الظل والشمس طالعة ، وادركوا ان ساعات الليل تطول وتقصر تبعا للفصول . وسجلوا بالساعة المائية طول الساعة الزمنية في الشهور شهرا شهرا ، وكذلك ادركوا ان ساعات النهار تطول وتقصر ، وسجلوا بالظلال اختلالها في الفصول والشهور ايضا .

وبالطبع لم يكن ادراك القدماء من مصريين او آشوريين او بابليين للزمن دقيقا كالدقة التي نعهدها ونألفها اليوم .

●●●

السيد علي محمود حافظ ــ بيروت :

شكرا لك على عاطفتك الرقيقة تجاه **البيان** يا اخ علي ، اما عن سؤالك ، الذي تقول فيه : **ايهما صاحب الفضل على الشعر العربي ، البارودي ام شوقي ؟ ولماذا ؟**

نجوابي لك يا سيد علي ، ان كليهما صاحب فضل ويكفي هذا جوابا ، ولكن يظهر ان الاخ قصد : **« ايهما اكثر فضلا من الاخر ؟ »** وعندئذ يطول الجواب .

فمن حيث الزمن ، سبق البارودي في تاريخ النهضة الحاضرة، وتخلف شوقي ، والسابق خير من اللاحق ، والفضل هنا ، من حيث النهضة كفضل المهاجرين على الانصار ، من حيث الدعوة .

والبارودي رجل قلم ، ورجل سيف ، وعن طريق السيف دخل غمرة السياسة ، فعانى البعد عن الوطن وذاق مرارة النفي ، وترجم شعره كل هذا ، كما ترجم شعر المتنبي احداث حياته الكثيرة ، فشعر البارودي من اجل هذا شعر يثير قارئه الى اعجاب بقائله الى جانب اعجابه بشعره ، اما شوقي فرجل قلم فحسب ، فهو لم يحمل سيفا ولم يدخل غمرة سياسة ، فعظمته في شعره، ومن هنا ، فهو يرى الناس ويقول : اكثر مما يرى نفسه ويقول ، وهو يطل على الحياة من نافذة في قصر على الدعة وعلى الهواده ، وقد كان شعره مشغلة حياته ، كما كان مشغلة الناس في حياته وبعد وفاته ، وسيظل شعره خالدا يترجم عن نهضة مصر الاجتماعية ويترجم عن الاحداث العظمى التي وقعت في عصره .

عزيزي القارىء ..

لقد دأبت هذه المجلة منذ صدور العدد الاول ، على تزويدك بكل موضوع طريف وباب من ابوا ب المعرفة جديد، وايمانا منها في تشجيع الناشئة من الكتاب ، فستعمد هيئة التحرير ابتداء من العدد السابع الى استحداث باب جديد يتضمن ما يرد اليها من مقالات وقصائد او محاولات نقدية وادبية متفتحة .

وسيشرف الاستاذ عبدالله العتيبي على هذا الباب وسيقوم بعرض كل انتاج يصل اليه على ذوي الاختصاص لابداء وجهات نظرهم حول الموضوع واعطاء ملاحظاتهم عليه .

هيئة التحرير

يسعى سعيا حثيثا وراء مطلبه بعد ان تضى طفولتــه مع امه بنيلوبي في ظل صيت اوديسيوس ابيه الغائب، ثم تضى صدر رجولته في بحث دائب عن ابيه الى ان انهت اليه منيرفا ربة الحكمة الرومانية انه يمكنه العثور على اوديسيوس في وطنه بعد غيبة عشرين عامـــا . وكان على دوس باسوس ان يبحث وان يضـــرب في الافاق مثله في ذلك مثل تليماخوس ، وطالما ساقه بحثه الى معظم اجزاء المعمورة .

وعلم دوس باسوس بوفاة والده في السابع والعشرين من يناير عام ١٩١٧ ولم يكن قد مضى على اقامته في اسبانيا التي رحل اليها لدراسة فن المعمار تنفيذا لرغبة والده سوى بضعة شهور ، فانتهت بموت ابيه سلطته عليه وبدأ شعوره بالحرية والمسؤولية ازاء نفسه .

ويمثل هذا التاريخ ــ تاريخ وفاة والده ــ سواء من الناحية النفسية او المجازيـــة ، بداية حيـــاة دوس باسوس الفنان والانسان الحر ، الذي راح يؤكد حريته الجديدة بالعمل من اجل السواد الاعظم من المعذبــين والمظلومين ، فهب يعيد قيد اسمه من جديد في الصليب الاحمر ، ليعود الى ميدان الحرب ، التي يمكن القول بحق انها هي التي صنعت منه مخبرا صحفيا ، وقــد اشتهر اول ما اشتهر كقصصي بما كتبه من مشاهدات في الحرب في قصته « الجنود الثلاثة » عام ١٩٢١ ،وكان من الجلي انه شهدها من كثب وبوضوح ، الى الحد الذي مكنه من تصويرها لقرائه لاول مرة في تاريـــخ القصة بطريقة مفهومة لا لبس فيها ولا مواربة . وقد مضى من ذلك الحين يشهد احداث عصره ويكتب عنها وعن مسارحها ، الى ان سافر الى فرنسا في ربيع عام ١٩٢٧ ، حيث اخذ من جديد يبحث عن ذلك الشعور بالانتماء والذاتية الذي افتقرت اليه طفولته . ويبـــدو ان الحرب قد حققت له بعض امنيته فقد عثر فيها على الزمالة ، فاستطاع ان يملأ ــ ولو الى حين ــ بعـــض الفراغ الذي رفعه موت والـــده الى مستوى الوعي والادراك . وبعد ذلك التاريخ ــ تاريخ وفاة والده ــ بواحد وعشرين عاما وبالتحديد في السابع والعشرين من يناير عام ١٩٣٨ نشرت ثلاثيته الشهيرة « الولايات المتحدة امام عدسة الكاميرا » كعمل متكامل ، وكـــان نشرها مناسبة تاريخية تمثل نهاية بحث تليماخـــوس (دوس باسوس) عن ابيه ، واكتمال نضوج الفنـــان فيه ، ومن ثم فان تاريخ نشر ثلاثية الولايات المتحدة يعتبر بداية حياة دوس باسوس كمواطن ينعم بكـــل حقوق المواطنة في الولايات المتحدة ، بعد ان قضى فترة طويلة مجهدة يحاول الوصول الى الشعور بالانتمـــاء لشيء ما خارج نطاق نفسه ، وهو الشعور الذي وصفه في خريف عام ١٩٣٦ بانه **« ضروري ولازم لكل انسان »**

هذا هو « جون دوس باســوس » الذي يقول سارتر من ادبه بوجه عام : **« لقد فعل ما هو ضروري حتى لا تبدو رواياته الا انعكاسا للحياة .. انه يريد ان يظهـــر لنا هذا العالم الدنيوي ، عالمنا ، ان يظهره فقط من غير شروح ولا تعليقات .. ان كل ما يريد ان يرينا اياه قد سبق لنا ان رايناه على وجه التحديد كما يريد ان يرينا اياه . »** ثم يصف طريقته في تصوير ظواهر الحيـــاة المختلفة قائلا : **« ان دوس باسوس بتصويره لهـــذه الظواهر المعروفة بصورة لا تختلف البتة عن طريقتنـــا فيما لو صورناها نحن ، اقـــول : ان دوس باسوس بتصويره اياها على هذا النحو يجعلها غير محتملـــة . انه يثير سخط من لم يسخط قط ، ويبث الخوف في قلب من لا يخاف من شيء»** .. ثم يتكلم عنه وعن عالمه فيقول: **« ان حقد دوس باسوس ويأسه وازدراءه المترفع هي مشاعر حقيقية . لكن عالمه لهذا السبب على وجـــه التحديد غير حقيقي .. انه عالم مصنوع ، انني لا اعرف عوالم اخرى بما فيها عوالم فوكنر او كافكا يتوفر فيها للفن مثل هذه العظمة ومثل هذا الاستتار المتقن .. انني لا اعرف عالما اقرب الينا واثمن واكثر تاثيرا منه ، وهذا راجع الى انه يستعير مادته من عالمنا ، ومع ذلـــك لا وجود لعالم ابعد منه واغرب .. ان دوس باســـوس لم يخترع الا شيئا واحدا : فن السرد . لكن هذا يكفي ليخلق عالما .** اما عن شخصياته فيقول : **« ان دوس باسوس ينقل الينا جميع عبارات شخصياته باسلـــوب التصريحات الصحفية ، وبذلك تنقطع الصلة بينها وبين الفكر ، وتصبح عبارات خالصة ، وردود فعل بسيطة ينبغي ان نسجلها كما هي ، على طريقة السلوكيـــين الذين يستلهمهم دوس باسوس حين يحلو له ذلك . لكن العبارة تكتسب في الوقت نفسه اهمية اجتماعية : انها مقدسة ، انها تصبح مثلا سائرا »** ويقول سارتر عنها ايضا : **« ان كل شخصية من شخصياته فريـــدة ، وما يحدث لها لا يمكن ان يحدث الا لها »** .

ويبلغ جان بول سارتر ذروة اعجابه بجون دوس باسوس حين يقول عنه : **« ان عالم دوس بـــاسوس مستحيل ، كعالم فوكنر وكافكا وسكانـــدال ، لانــــه متناقض ، لكنه لهذا السبب على وجه التحديد جميـــل، ان الجمال تناقض مقنع . انني اعتبر دوس باسوس اعظم كتاب عصرنا (١) »** .

---

(١) جان بول سارتر : الحلقة الثانية من سلسلة مواقف « ادباء معاصرون » ترجمة جورج طرابيشي . نشر دار الاداب ــ بيروت . الطبعة الاولى ــ شباط ــ فبراير ١٩٦٥ .

من أخبار السلف الصالح

المعتصم وتميم بن جميل الخارجي

روى احمد بن ابي دؤاد القاضي قال : ما رايت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل الخارجي . رأيته ، وقد جيء به اسيرا ، فادخل على المعتصم في يوم موكب ، وقد اعد الخليفة للناس مجلسا عاما . وجيء بالسيف والنطع . فلما مثل بين يديه ، نظر اليه المعتصم فاعجبه شكله وقدره ، ورآه يمشي الى الموت غير مكترث به ، فاطال النظر اليه ، ثم استنطقه ليرى في عقله وبلاغته فقال : يا تميم ، ان كان لك عذر فائت به . فقال تميم : اما اذا اذن امير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ، ولم به شعث المسلمين واخمد شهاب الباطل وانار سبل الحق فالذنوب ، يا امير المؤمنين ، تخرس الالسن وتصدع الافئدة ، وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة ، وساء الظن ولم يبق الا العفو ، وهو الاليق بشيمك الطاهرة . ثم انشد :

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا
يراقبني من حيث لا اتلفت
واكثر ظني انك ، اليوم قاتلي
واي امرىء مما قضى الله يفلت ؟
ومن ذا الذي ياتي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت ؟
وما جزعي من ان اموت وانني
لاعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
واكبادهم من حسرة تتفتت
كاني اراهم حين انعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة
اذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل : لا يبعد الله داره
واخر جذلان يسر ويشمت

قال : فبكى المعتصم وقال : ان من البيان لسحرا ! ثم مضى قائلا : كاد والله يا تميم ، ان يسبق السيف العذل . وقد وهبتك لله ولصبيتك ... واعطاه خمسين الف درهم .

ما خلفه عمر بن عبد العزيز وما خلفه هشام بن عبد الملك

يروى ان عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، خلف احد عشر ابنا ، فاصاب كل واحد من ابنائه نصف وربع دينار . وقال لهم عند وفاته : ليس لي مال فاوصي فيه .

وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابنا ، فاصاب كل واحد منهم الف الف دينار .

فاما اولاد عمر ، فما رؤي واحد منهم الا وهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة الف فارس على مائة الف فرس في سبيل الله تعالى .

واما اولاد هشام بن عبد الملك ، فما رؤي احد منهم الا وهو فقير ولقد شوهد احدهم وهو يوقد في الاتون .

بين عمر ومعاوية

قال يزيد : حدثني ابي ان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قدم من المدينة الى الشام على ظهر حمار . فتلقاه معاوية في موكب فخم نبيل ، فاعرض عنه عمر . فجعل معاوية يمشي الى جنبه راجلا . فقال عبد الرحمن ابن عوف للخليفة عمر : اتعبت الرجل ... فاقبل عمر على معاوية وقال له : يا معاوية ، انت صاحب الموكب مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين . قال : ولم ذلك ؟ قال : لانا في بلاد لا تمتنع الجواسيس ولا بد لهم مما يروعهم من هيبة السلطان . فان امرتني بذلك اقمت ، وان نهيتني عنه انتهيت . قال : ان كان الذي قلت حقا ، فانه راي اريب، وان كان باطلا ، فانه خدعة اديب . فلا آمرك به ولا انهاك عنه .

■■■